ماتريوشكا وقصص أخرى

الكتاب: ماتريوشكا وقصص أخرى (خسوف)
مختارات من الأدب الأسترالي المعاصر
النّاشر: دار الدّراويش للنّشر والتّرجمة- بلوفديف- بلغاريا
Фирма Бадер

العدد: ١٦٠
الطبعة الثانية: نوفمبر / ٢٠٢٠.
١٣٠ ص؛ ٢١× ١٤ سم.

الكتب والدّراسات التي تصدرها الدّار إنما تعبّر بالضرورة عن آراء ووجهات نظر واجتهادات أصحابها، ولا تمت لرأي الدّار بأي صلة.

تم الإيداع في المكتبة الوطنية صوفيا بلغاريا : ٢٠٢٠

(ISBN) (ردمك) الورقي 9786197597103
(ISBN) (ردمك) الإلكتروني

لوحة وتصميم الغلاف والإشراف الفنّي: بدر السويطى.
الصفّ الضوئي والإخراج الداخلي: محمود عنتر
فرز الألوان والتنفيذ الطباعي: دار الدراويش للنشر و الترجمة
المدير العام: بدر السّويطي

للتواصل:
@dar-aldarawesh الدّراويش للنّشر والتّرجمة
@DarAldarawesh
daraldarawesh@gmail.com
WWW.DARAWESH.COM
هاتف: ٠٠٣٥٩٨٨٧٨١٤٢٣٠، ص.ب: ٤٢١٠
شارع تورغوفسكا رقم ٧- ستامبوليسكي- بلوفديف- جمهورية بلغاريا.

© كافة حقوق النّشر، الطبع والاقتباس محفوظة، عدا حالات المراجعة والتّقديم والبحث والاقتباس العادية ذكرًا للمصدر؛ فإنه يحظر إعادة إصدار، نسخ، تصوير، ترجمة أو اختزان -ورقيًا أو إلكترونيًا- أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها في نطاق استعادة المعلومات -سواء كانت تصويرية، إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التّسجيل الفوتوغرافي أو التّسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة وغيرها-، دونما الحصول على تصريح خطي مسبق من النّاشر والإشارة إلى المصدر.
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع -دون موافقة كتابية- يعرّض صاحبه للمساءلة القانونية.
*تباع النّسخة إلكترونيًا عبر موقع الدّار.

ماتريوشكا وقصص أخرى

مختارات من الأدب الاسترالي المعاصر

ترجمة : شيماء هادي راضي

تقديم ومراجعة : د. مسلم عباس الطعان

© الدّراويش للنشر والتّرجمة

AL-DARAWESH FOR PUBLISHING & TRANSLATING

WWW.DARAWESH.COM

بلوفديف -جمهورية بلغاريا

Plovdiv-Bulgaria

2020

مقدمة

صوت المكان بين ايقاع الذاكرة ونشوة الاكتشاف السردي

د. مسلم عباس الطعان

«تمنيتُ أن أرسمَ بصماتِ أصابعكِ من الذاكرة

لأحييَ المشاهدَ كاملةً من ارشيفِ اللمسات»[1]

الشاعر الأسترالي المعاصر ناثان شيفردسون

للمكان صوته وحواسه الجمالية في النص السردي شأنه شأن النصوص الابداعية الأخرى التي تتم بها عملية تبادلية جمالية لشحنات النص عبر خطاب القصة القصيرة التي تمدّ جسورها بين ايقاع الذاكرة ونشوة الاكتشاف. يقول كاتب القصة القصيرة الناقد والأكاديمي الاسترالي نيكولاس جوز في حديث عن خياراته في تحرير أنطولوجيا الأدب الاسترالي:

(من الصعوبة بمكان أن نفصل الأدب عن حاسة المكان ، وهذا ينطبق على ماضي المكان كما هو الحال بالنسبة لطاقته المعاصرة. ومثل هذا الشيء الغريب يحصل في استراليا. فالمكان مدينيّ بامتياز ، بيدَ أن مخيال الكتّاب غالبا ما يشّد الرحال صوب الأماكن والأزمنة القصية. فالمشهد المكاني هائل جدا ولم يُسبَر غوره في الكتابة بعد ، وهذا بحدّ ذاته يشكل بؤرة إغراء وجذب للكتّاب ، وأعتقد بأنّ ذلك هو الشيء الذي تتفرّد به استراليا).[2]

1- (Shepherdson, Nathan (2006) Sweeping the Light back into the Mirror, University of Queensland Press)

2- (Jose, Nicolas (2010) Nicholas Jose on Australian Novels. Five Books)

أن صوت المكان كحاسة يشترك بها معا كل من الكاتب وجمهور القرّاء هو فعل جماليّ منبثق من سردية زمانية تحكمها شعرية الذاكرة ايقاعا ونشوة الاكتشاف احساسا انسانيا وجماليّا بالمكان. ثمَّة حوار جماليّ ما بين حاسة المكان والذات القارئة في كل قصة من القصص القصيرة الستة عشر التي اختارتها المترجمة شيماء هادي راضي من الأدب السردي الاسترالي المعاصر ، وهي تتبع حركيّة بوصلة الوعي الفطري لدى القارئ المترجم الذي تفتنه ، قبيل تطبيق آليات الترجمة بإطارها السردي المكتوب على الورق ، دهشة المكان عبر آلية التشابك الجمالي مع الذات القارئة ، وهذا الأمر تقرره شعرية القراءة الأولى للمكان السردي. وعند الشروع بملامسة جلد النص السردي تنكشف شفرة الابداع المكثف المشدود بحبال ايقاع الذاكرة والمسترخي على فراش حلم نشوة الاكتشاف للذات السردية المستفّزَة والمستفِزة معاً وهي تجوب مضامير المكان بطاقة حصانٍ بريّ جامح.

عندما كنت في أقصى جنوب الأرض كانت تراودني تلك الفتنة البريّة للبحث في المكان الجديد عن حاسة جمالية تفتح لي مغاليق وأسرار طلاسم عشق الجنوب السرمدي الذي أحمله معي زادا ايقاعيّا يحولُ دون عطب ذاكرتي في حلّي وترحالي ، وكأني أواصل رحلة جدي السومري جلجامش بالبحث عن عشبة سردية تقصّ لي ، ولو على جناح عجالةٍ ، قصة خلود هذا الجنوب الجميل في أقاصي قيعان وجودي. ولدهشتي ، اكتشفت في احدى زوايا أروقة قسم الكتابة الابداعية في جامعة سدني الغربية ، حيث كنت أعدّ العدة لإكمال مشروع الدكتوراه في فلسفة آداب الشعر الانجليزي وبالذات عن الجنوب الجماليّ في

شعر الشاعرة الأمريكية الأفريقية الأصل مايا أنجلو في مرآة الترجمة الشعرية ، اكتشفت بأن ثمّة رائحة ابداعية لجنوب آخر قد تسربت من صندوق أنيق وضعت بداخله كتب ومجلات جميلة مهداة للقارئ-الباحث عن جمال سردية الأشياء. أخذت تلك الرائحة الابداعية المثيرة بتلابيب حواسيّ حيث صعدت منها الى أوداج دهشتي حرارة ونشوة الاكتشاف عبر سياحة جمالية للجنوب الاسترالي بقراءة مجلة (Wet Ink) ، الصادرة في مدينة أديلايد-عاصمة الجنوب الاسترالي ومركز اشعاع وثقافة ولاية

استراليا الجنوبية ، ومجاميع شعرية وسردية أخرى مثل انطولوجيا (The Milk in the Sky) و مجلة (Zine West) وسرعان ما انتقلت تلك العدوى الجمالية الى روح رفيقة الدرب فاستقبلتها بنهم جماليّ قراءةً وترجمةً لامست شعرية الفعل السردي.

وقصص المجموعة التي بين أيدينا يغوي صوت المكان فيها إيقاع الذاكرة بأن يكون حاسة شم جماليّ لدى المبدع وقرّاءه على حد سواء من أجل بلوغ نشوة الاكتشاف. فأستراليا بأطرافها المترامية تنفتح مسافاتها الثيَّمية على المكان لكي نصل الى شفرة الاكتشاف لماهية المكان الجمالية وأسراره التي تقبع في لاوعي الذاكرة الجمعية للشعب الاسترالي المتعدد الثقافات والتي من خلالها سميَّت استراليا ببلد الثقافات المتعددة.

يقول جون ميشيل آدم استاذ كرسي اللسانيات الفرنسية بجامعة لوزان في كتابه المهم الموسوم ب(السرد):"إنّ السرد يصاحب أكثر الناس بساطة وأكثرهم عظمة في مماتهم وحياتهم كما يرسم حدودا ينبغي على المرء أو

يمكنــه أن يأخذ بهــا عندما يتعلق الأمر بالقيل والقــال وأنماط الثرثرة ومختلف ضروب الثناء."[1] ومن هنا فأن الفعل السردي هو ليس بالفعل التسجيلي الواقعي لمجريــات وتفاصيــل اليومي فحســب ، وانما هــو الخطاب المعرفي الكاشــف لجغرافيا المكان وجغرافيا النفس على حد سواء.

ووفق تلك المنهجية الكاشفة والمكتشفة لمكنونات المكان وأغوار الذات الانسانية العميقة نقرأ جمالية الخطاب السردي الذي تمثله القصة الأسترالية القصيرة المعاصرة من خلال علائق التشابك النصّي مع عذرية المكان الجديد ، فالكاتب-السارد هو مكتشف لعذرية المكان ومدوِّن-

ســارد لوقائع الرحلة التي يقوم بها جغرافياً وســايكولوجياً بوصف اســتراليا القــارة العــذراء التي تغــري وتغــوي عشــاقها برحلة الاكتشــاف والســرد معاً. فالمكان ، عبر خرائطه الجمالية الســاحرة ، يدعوك للتوغل في أحراشه وغاباته المتراميــة الأطراف ورمال صحاريه الشاســعة وتلاطم أمواج محيطاته ويســتفزّ أدوات مخيلتك لتكون ســاردا لفصــول رحلتك. هكذا تطل القصة الأســترالية المعاصــرة من خلال نافذة الاكتشــاف وإن كتبها كتّاب مغمــورون ومغامرون ورحّالة عاشــقون للسحر والجمال ، حيث يســتنطق في أرواحهم صوت المكان ايقــاع الذاكرة ولذّة الاكتشــاف الســردي. أن المجتمع الاســترالي بطبيعة تعدد ثقافاتــه تمتــزج وتنصهر في بوتقتــه تجــارب المــكان الأول ، المكان-الذاكرة ، وتجارب المكان البكر الذي يغوي على الاكتشــاف ، ومن هنا يمكن القول بأن المكان في الخطاب الســردي الاســترالي الذي تمثله القصــة القصيرة المعاصرة

1- جون ميشيل آدم: السرد ، ص11 ، ترجمة أحمد الودرني ، دار الكتب الجديدة 2015

هو المكان الذي يسـلّط الأضواء على حقيقة المجتمع الاسـترالي بوصفه مجتمع اسـتراليين أبوريجينالـي أصلي ومجتمـع مهاجرين ولاجئين لهـم (قدمٌ في كل أرض) على حدّ تعبير الكاتبة موراغ ستن في قصتها الموسومة (ماتريوشكا) التي اخترناهـا عنوانا للمجموعة القصصية التي بين يديـك ، عزيزي القارئ ، لتكون توثيقا جماليا لسـرديات المكان الموشوم بأصابع الذاكرة ذات الروائح التي تشي بحسـيّة الزمان والمكان وارتطام المشاهد السردية ببعضها البعض وهي تترجم حضورها الجماليّ في ارشيف اللمسات السردي.

إوزة الثلج وندي نوبل*

يرفعُ أريك قدمه اليمنى من كومةِ الثلج ويغمرها في واحدةٍ أخرى أمامه. بعدَ ذلك يكررُ الفعل عينه لكن بقدمهِ اليسرى. في كلِ خطوة يبدو كأنه يتسلقُ تلالاً ثلجية. أغصانُ أشجار التنوب تتدلى تحتَ وطأةِ غطاءها الثلجي. هو يشعرُ وكأنها تشاطرهُ حالة التعب. كذلك هي السماء تبدو رماديةً كئيبة لثلاثة أشهرٍ خلت ، الشتاء يأبى الرحيل.

في كل صباح يمسكُ أريك أنفاسه ويصغي للجرس عند رصيف السفن الذي سوف يقرع فور وصول السفينة عندها سيدركون أنهم على بر الأمان. بيد أن سفينة المؤونة هذه تأخرت ، ثلوجُ البحر تعيقُ وصولها للبر. كل صباحٍ ساكن للغاية مثل سابقه ، ما أن يشرعُ الطفل ببكاءه النحيل الباعث على الشفقةِ حتى يتبدد السكون.

حليبُ الأم تايلد نضب ، الطفلُ منهكٌ ، الجوعُ يقضمُ معدته الصغيرة. حساءُ اللفت ليس بديلاً لحليب الأم. تايلد لم تنمْ كفاية ، هي تعلكُ قلقها وخوفها يتنامى في كلِ يوم. الموت يطوفُ حولَ قريتهم لأسابيع ، وأصابعهُ الثلجية تقرعُ ، تقرعُ وتقرعُ نوافذهم.

في كل صباح ، يقولُ أريك لتايلد:

-«الله لن يتخلى عنا. ستصل السفينة وسوف يقرع الجرس. سوف ترين ذلك. حينئذ سننعم بمأدبةِ إوزٍ مقلي وبصل وبزاليا خضراء شهية».

في البدء راقت لها اللعبة ، فانبرت قائلةً:

-«سنتناول حساء عنب الأحراج والجزر المعسل. حسناً ، ونتناول الحلوى بقشدة الخزامى».

الآن هي لم تهز رأسها إيماءً بالرفض ، بل كانت تنظرُ إليه وهالات عينيها داكنة كسواد الليل ، وكان الطفلُ ينشج.

غاب أريك عن البيت ليومين وهو يخشى العودة صفر اليدين. ما لديهم من البطاطس واللفت على وشك النفاذ. إنه لم ير غزالاً منذ وقت طويل ، ربما تكون فرصته في الصيد أكبر لو كانت كلبته بيلا معه. بيلا المسكينة ، عندما أوثقها الى الشجرة رمقته بعيونٍ ملئها الثقة ، وما أن رفعَ البندقية حتى مالت برأسها جانباً واستحالت الثقة حيرة. كان مرغماً أنْ يغالب دمعه متوجهاً صوب هدفه لكن بيلا بقت تذرف دمعها لأيامٍ عدة.

يقفُ ساكنا وينصت. يسمع أنفاسه تصفر ، قلبه يدق ، والقطرة ، القطرة ، القطرة الناعمة الخفيفة تزحلق الثلج من على الأغصان الرصاصية. لقد غشاه الصمت البارد بينما كانت الغابة تحبسُ أنفاسها.

إنهُ لأمر هيّن أن يغوص في المسحوق الأبيض ويسلم نفسه للنوم ، وبإمكانه أن يستلقي ويستسلم. لكن ما إن بدأت ركبه تُطوى ، انتفضَ أريك قائماً ، وكانت

تايلد تترقبُ عودته. أريك يرفع قدمه اليمنى من كومة الثلج ويغمرها في واحدة أخرى أمامه ، ثم يعاود الفعل عينه لكن بقدمه اليسرى.

أخيراً وبعد ساعةٍ شاقةٍ كئيبة ، يلمحُ أريك كوخه عن بعد ، ضوء يتخلل زجاج النوافذ ودخان يتسربُ ملتوياً من مدخنة المطبخ. ليتهُ يملكُ شيئاً يقدمهُ لعائلته: حمامةُ الهدال* ، أو حتى غراب. أن تظفر بالقليل خير من لا شيء. إذا لم تأتِ السفينة قريباً فإن كل ما يملكون هو لحاء الشجر.

أحنى أريك كتفه للباب ودفعه ببطء وهو يعزي نفسه لخيبةِ أمل تايلد.

في البدء لم تلمحه تايلد. كانت تجلس بجوار الطاولة تبتسم وهي تقشر البطاطس. هو يرقب القشرة وهي تتدلى من السكين الى الإناء. أعلنَ أريك وصوله بسعلةٍ وبصيحة سرورٍ فاندفعت تايلد لتعانقه.

أريك يعتذرُ بشدةٍ لكن تايلد قاطعته في منتصف الجملة واضعةً إصبعها على شفاهه:

- اصمت ، كلُ شيء على ما يرام ، لدينا وليمة الليلة».

أريك يتساءل:

-«يا ترى هل وصلت السفينة ؟»

تهز تايلد رأسها وتبتسمُ معانقةً نفسها بغبطةٍ وقد ارتسمت على وجهها إشراقة كتلك التي تبدو عليه في صباح عيد الميلاد. راحت تتمايلُ بشوق لتعرف هداياه وتنتظره ليفتحها.

أريك يتساءل:

-"هل هي شفقة من الجيران ؟"

هي تجيب:

-"لا ، لا ، بل أفضل بكثير".

وجهها يتلألأ ببهجة. بمعزلٍ عن توهج باب الفرن ورائحةِ اللحم المشوي اللذيذة ، ليس بمقدور أريك أن يتخيل السر وراء ذلك.

تايلد تقهقه ، كلماتها تتبددُ من ثغرها كنبيذ أحمر من قارورة مكسورة:

-"خمن ماذا حدث ، لا ، لا أظن بإمكانك ذلك حتى بعد مليون عام. أنا سأعلمك إنها المعجزة يا أريك. معجزة! الرب أرسلَ لنا إوزةَ ثلج. عزيزي هو أرسل لنا إوزة منتوفة الريش وجاهزة للشواء".

قلبهُ ينط ، ويخفقُ في صدره:

-"تايلد ليسَ هنالك ثمة إوز ، في الشتاء هذه الطيور تهاجر جنوبا".

تايلد تصفقُ يديها:

-"بلى ، بلى اللهُ بعث لنا إوزة. عثرتُ عليها في هذا الصباح ميتةً ملقاة على الأرض. إنها معجزة كما أخبرتك. ألا تبدو رائحتها شهية ؟ "

كان أريك ينصت والعالم يقبض أنفاسه ، هو يسمع قلبه يخفق بقوة ويسمع الفرقعة الخفيفة لطشيش السمن في الفرن ، لكن أعلى الأصوات هو الصوت الذي ليس بإمكانه سماعه. وأخيرا هو يرى ما يهمس له قلبه منذ قدومه للبيت. عينا تايلد متوحشتان مثل بحارِ الشتاء.

يمسكُ أريك بذراعيها:

-"تايلد ، ماذا فعلت ؟"

ما إن إنسابَ الوعي الى عينيها فإتسعتا بفهم عميق وفمها تمددَ ليطلق صرخةً مسموعةً تقطعُ هواءَ الشتاء القارص وقرع الجرس المروع.

*الهدال: حمام بري في أمريكا ذو هديل حزين

*وندي نوبل كاتبة معاصرة حاصلة على شهادة الماجستير في الكتابةِ الإبداعية ، حققت نجاحاً في كتابة المراجعات والعروض والقصص القصيرة. عملتْ لأكثر من ستة عشر عاماً كمتحدثةٍ للعامة في الكنيسة في جنوب استراليا و نيوساوث ويلز والولايات المتحدة.

ماتريوشكا*
موراغ ستن*

هـذا الأسـبوع وعندمـا رأيت دميتـي الروسـية ، نطَ قلبـي خافقـاً. عيناها اللامعتان الواسـعتان بدت عليهما غشاوة ، وابتسـامتها كانت إلتواءة للفم في محاولة للابتهاج أكثر من كونها الدفء المعتاد لها ، والغناء الذي يأتي بالأمل.

قالت وهي تغص بكلماتها:

-"لقد توفي حبيبي ، أخبرني الطبيب بأنه سيكون على ما يرام ، لكن لا".

-"آه يا مارينا ، كم مزعج ذلك بالنسبة لك... وأعتقد ، آه لا ، لا تستسلمي يا مارينا ، كوني كالدمية الروسية ثانية ، ارتدي وجهاً جديداً وثوباً جميلاً كما فعلت في وطنك عندما تحطم عالمك أول مرة.

وحينما تذهب مارينا لعملها في محل لبيع الملابس المستعملة في بلاك تاون ، تصرح جازمة:

-"العمل جيد".

إني أقاوم الرغبة لمساعدتها في العمل ، رتبتُ أكوام الملابس بطريقة مسعورة ، بيد أن ما تحتاج اليه في الوقت الحاضر ليس الجهد البدني.

وفيما بعد أخبرتني:

-"في غضون اسبوعين سأذهب الى روسيا في عطلة تستمر لستة أسابيع".

يجول في خاطري بأنها سـتكون على ما يرام. ستجتمع مع عائلتها ويشربون

الفـودكا سـوية ، سـيرقصون ويسـتعيدون القصص القديمـة للكفـاح والبقاء ويضحكون. سـيأخذونها الى أماكن حيث يبدأ التعافي ، وسـيقدمون لها أشياءً تذكاريـة كي تتذكر وطنها وربما تكون دمية ماتريوشـكا هي ما سـتُريه لحفيدها الصغيـر عنـد عودتها الى أسـتراليا. وفي اللحظة عينها ، هـي تحب وجودها في روسيا وتفتقد استراليا ، إنها حقيقة كل المهاجرين واللاجئين ، لهم قدمُ في كل أرض.

*ماتريوشكا: دمية مصنوعة من الخشب ، اسمها مشتق من المرأة الروسية الأم التي تحكم أسرتها.

*موراغ ستن: كاتبة أسترالية ، تكتب عن تجاربها الخاصة وتجارب الآخرين وكذلك تكتب المسرحية والقصص القصيرة ، وتعمل على تعليم اللغة الإنجليزية للمهاجرين.

ليلة بيضاء
ليندا تيت*

النهار يتسرب برفق ، شجيرة أزهار بيضاء تفوح عذوبتها للغسق. طير يصدح أغنيته المعتادة للسكون ، القمر يبزغ قريبا حيث يمكن أن ترى طريقا طويلة.

وهج آخر يتألق أكثر حمرةً من أن يكون ذهبياً. النار تسفر عن قدر في مخيم يستقر وسط فحم مشتعل ، إنه طبق حمص يبثُ عبيره التابلي* لنسيم الليل. قبالة الضوء ، يجلس رجل وامرأة مغبرة ، ظهراهما يمتصان حرارة النار بينما هما يصغيان الى رنينٍ خافت. يستدير الرجلُ للمرأة بهدوء:

-"تلك الأجراس تصير خافتة بعض الشيء ، لنذهب ونرى أين حلت ابلنا".

هي توماً موافقة ويسيران يدا بيد تحت الضوء الأبيض صوب الإبل التي ترعى الكلأ. يسحقان النجوم البيض تحت أقدامهما ، عطرهما يملأ الهواء ، أغنية الطائر تقرعُ الليل ثانيةً.

الرجل يتسمر ويفلت يد المرأة ، يركضُ وهو يجأر:

-"بسرعة ، أوثقي الأبقار ، سأمسك بالثور ، لقد كسر قيوده ، إذا ذهب الثور ستتبعه الأبقار والقيود وكل شيء. شكرا لله. لقد أوثقنا الحبال حول رقابها جميعا".

المرأة تتحرك قابضة على الحبال الشوكية المبتلة المتدلية التي تنغرس في جلدها بينما تحاول ربط الأبقار الشامخة الى أشجار الجيدجي*. الآن تحت ضوء القمر تبدو الإبل ساكنة والمرأة تتجه لترقب الرجل وهو يتعقب الثور الطريد خلسة.

الرجل يتخذ خطوة للأمام والجمل يتخذ واحدة للوراء ، الرجل يخطو للأمام والجمل يخطو أكثر.

الرجل يخرج تبغه ويلف سيجارة. الجمل يقضم الأدغال الصغيرة. وبينما يسحبُ الرجلُ السيجارة من فمه ، تغور قدمه في الأرض ويتهاوى بهدوء وقدمه الثانية تزحف خطوة أخرى. ويهربُ الجملُ ثانية مبتعداً عن العشب والرجل لكن هذه المرة كان أسرع.

المرأة تنزلق بهدوء شاعرة بالفراغ والسكون ، الجمل ينظر إليها دون أن يتحرك. الرجل يقول لها ويخبرها أن تفعل ما فعلته مسبقاَ:

-"نعم ذلك صحيح ، والآن ببطء ، ببطء"

بعيونٍ منسدلة ، كانت المرأة تمسك بجمل مستقر في مخيلتها وهي تنعطف بينه وبين شجرة قريبة. تنحني الى الأرض لتلتقط الحبل السائب ، تحكم الحبل حول الشجرة ببطء ثم تستدير وتمتد لتلمس برفق الرأس الثابت النحيف للجمل. يعودُ الرجلُ ليقبض على الحبل. الجمل يشب مشرأباً منقضاً على الحبل فتبتعدُ المرأة خائفة.

ثقة الجمل تبددت. لكنه دليلهم الأفضل ، دليل الأبقار ، هو جملهم الأقوى وامتلاكه ضروري لرحلتهم الشاقة الطويلة. الجمل موثق الى شجرة طوال الليل ومغمور بالعشب المولع بتناوله ، و الأبقار طليقة ترعى أشجار الأكاسيا* الفضية.

الرجلُ والمرأة يعرجان الى النار الهامدة ، ظلال القمر تكشف فراقهما. العشاء المتفحم يرمى ويتناولان شطائر التونة والبصل. وحالما يبسطُ الرجل الفراش ويخلد للنوم ، تجلس المرأة محاذية لجذوة النار.

*التابلي: له صفة التابل أو نكهته أو عبيره.

*الجيدجي: أشجار موطنها الأصلي هو المناطق المجدبة أو شبه الجافة في أستراليا.

*الأكاسيا: تعرف أيضا باسم السنط أو الطلح وهي شجرة وارفة تبسط أغصانها في الهواء الدافئ وتعيش في المناطق شبه الجافة

*ليندا تيت: شاعرة وكاتبة قصة قصيرة معاصرة ولدت في نيوزيلندا وتعيش حالياً في أليس سبرنك في استراليا. عملت كطبيبة أعشاب. حاصلة على بكالوريوس آداب ودبلوم عالي في طب الأعشاب ، وكذلك تحمل شهادة في الدراسات الأندونيسية. نشرت العديد من قصصها القصيرة وقصائدها في الصحف والمجلات الأسترالية.

آل ستوليبريدجز
جنيفر كومبتن*

سيدريك و سيرل وميرتل ستوليبريدج جميعا ولدوا وترعرعوا في كوخٍ صغيرٍ من لحاء الشجر يقعُ في آخر الطريق على حافة المنحدر. وكما تقول ميرتل: الطريقُ الى مدرسةِ المعلم الواحد تستغرقُ ساعتين سيراً على الأقدام ، حيث لا يتلقون القدرَ المناسب من التعلم.

-«اوه ، بالطبع هو معلم بارعُ جداً. هو كذلك ، لا أحد منا تعلمَ القراءة والكتابة ، لكنه معلم بارع جدا."

كذلك لا أحد منهم أتقن القيادة. لقد تجاهلوا السيارات. ميرتل لم تذهب بعيداً قط ، لكن يمكنك رؤية سيدريك أو سيرل يسيران في الطريق وهما يحملان كيساً من الخيش يتدلى من على أكتافهما ، مولين الأدبار للمرور ، كذلك هي حالهما. ذات مرة اقترحنا على سيدريك أن نُقلهُ فاستدار يرمُقنا بفضول. اتخذَ قراراً ودلف الى السيارة ، لكن ما إن انطلقنا وإذا به يصيح:

-"توقفوا ".

بعدها اندفعَ وجِلاً:

-" إنها سريعةٌ للغاية وضيقة جداً ، ثمّة شيء ما! "

كان بحوزة سيدريك حصان وعربة. لقد عدا ببطء وتقدمنا متجهاً صوبَ الغابة ليقطِع الأخشاب. عندما شاهدتهُ للمرة الأولى كان يحرثُ أرضه الصغيرة

المزروعة بالبطاطس مستعيناً بحصانه الأسود. لكن عندما مات الحصان العجوز ، كان سيدريك مندهشاً لثمن الحصان الجديد عندها عرض البطاطس الناضجة مجاناً وصنع عربة يد يدفعها الى زقاق بجوارنا حيث يعودُ أدراجهُ الى كوخ مُهدهد متسم بالفوضى. توجب على سيدريك وسيرل وميرتل جمع الحطب لأنهم يطهون على موقد المطبخ صيفاً وشتاءً حيث تعجُ المدخنةُ بالدخان.

كانوا متكتمين بشأن كل شيء يفعلونه ، أعتقد إنهم استعانوا بالكتمان لقضاء حاجاتهم حيث لا أحد يوقفهم. كنت خارجةً في إسطبل ترويض الخيول ، فجأة جفلت ، رفعتُ بصري وإذا بسيرل يتوارى مندساً بين الأشجار في الممر الضيق حيث بدا جزءاً من المشهد الطبيعي. حالما أدركَ إني شاهدته جفل وإحمرَ خجلاً ثم توارى في الأجمة.

لم يتزوج أحد منهم قط ، بل كانوا يعيشون سوية في كوخ متهاوٍ ، ويشترون لوازمهم من متجرٍ شعبي. طلبتْ ميرتل من باتسي (المرأة التي تدير المتجر) أن تضيف البوظة وكذلك مرطمان المربى على الحساب الشهري وعندها سيرل سوف يدققه بإمعان. جلست ميرتل على مقعدٍ خارج المتجر مسترخيةً ، تلعقُ بوظةَ بيل أبونغ أو بادل بوب. ولكن في حال رؤيتها لأحد ما قادم صوبها تخفي البوظة خلف ظهرها على عجلٍ.

مرةً ذهبَ سيدريك الى جنداكونك ليشتري جزمات لكنه لم يعجبه المكان. لذلك لن يعيد الكرّة بالذهاب الى هناك ثانيةً. ومن وقت لآخر يمنحهم أحد المتصدقين بعض الثياب ، لكنهم شديدي التعلق بملابسهم القديمة المفضلة. امتلكَ سيدريك قميصاً أحمرَ كان شديد التعلق به فهو يرتديه في آذار ولا يخلعه إلا في أيلول.

منـذُ ولادة طفلتـي أليس كنت علـى علاقةٍ مع ميرتل. ميرتـل تترصد خلف نباتات العريشة ثم تندفع بسرعةٍ لتحمل الطفلة. ذات يوم كانت ميرتل تنتظرني على قارعـة الطريق. كانت تنتظر لتودعني ، ولأنها تعجز عن إمسـاك بولها فقد وضعوها في البيت. كانت تقول:

-"لم أستطع إمساك بولي بعد الآن ، لذلك وضعوني في البيت".

توفيت ميرتل بعد شهرين. هي ربما هزلت أو نحلت. على الرغم من كونها سيدة عجوز ، لكن حين تراها تبدو كشجيرة الأزهار الصغيرة الدائمة. دائماً تبدو غريبة في ارتداءِ أحذيتها وكأنها الى حدٍ بعيد لا تجيد استعمالها. بعد ذلك بفترة وجيزة وقع سيرل مغشيا عليه في الفناء الخارجي.

بقي سيدريك وحيداً ، وكان يبدو مثل روح ضائعة. قميصهُ الأحمر أصبح رثاً للغاية لكنه بقي وفياً له ، فهو يرتديه طوال العام.

آخر مرة رأيتهُ بقميصه الأحمر كانت في حفل شاي الصباح عند موقد النار. اكتست طاولة ضيافة النساء بحلةٍ جميلة. كان سيدريك يجلس الى جانب الطاولة ، ويمكنه أن يتناول ما يريد لكنه كان مغلول اليدين. عيناهُ تنطُانِ بطمعٍ الى كعكة الشوكولا وقُريصات الكعك المحلاة بالمربى والقشدة. كل الحاضرين يخدمون أنفسهم ، بيدَ أنه لا يتناول شيئاً وكأنهُ سيتلقى ضربة على مفاصل أصابعه في حال طالت يده المائدة.

لذلك التقطتُ طبقاً من الكعك المغطى بالشوكولا وقدمته له ، إنقضتْ يدهُ مثل لسان ثعبان وتبدد جوز الهند السائل على قميصه الأحمر والتصقت بقعة كبيرة من الكاكاو على وجهه. ليتني قدمت له طبقا آخر من أطباق الحلوى ، يا ليتني قلت:

-"سيدريك خُذْ إثنين منها واجعلْ السيدات يرزمن شيئا منها لتأخذه للبيت".

وردَ الى مسامعنا فيما بعد إن سيارة الإسعاف جاءت لنقله إلا انه لم يعدْ لبيته ثانيةً. أظن أنه السرطان ، لقد تآكلت صحته من الداخل. لم يعد هناك آل ستولبريدجز بعد الآن. قد توارى ذلك الجزء من تاريخ المدينة. سيدريك وسيرل وميرتل جميعهم قد رحلوا.

*جينيفر كومبتن: شاعرة وكاتبة مسرحية تكتب النثر أحياناً. انتقلت من وينكلو في نيوساوث

ويلز ثم الى ملبورن. قصتها القصيرة "آل ستولبريدجز" هي واحدة من سلسلة كتبت بدعم من اللجنة الأدبية لمجلس أستراليا. وقد نُشرت في مجلة " Wet Ink" الأسترالية لعام 2008.

هذا المكان
لويس لوومز*

العيش هنا لا بأس به ، ليس سيئا جدا كما اعتقدت. لقد اعتدت على أن أدرج الأشياء التي أكرهها ، والآن هذا الأمر أقل تكراراً ، قائمتي ليست مكروهة جدا. ما أكرهه غالبا ومن غير توقف هو ذلك الرجل. لا أعرف اسمه ، لكنني أميز رائحته ، إحساسه ، طريقته الهادئة حيث يدسُ أنفه في كل شيء. فهو الزاوية التي أدور حولها في الباحة ، إنه السياج الذي يحجزني والباب الذي لا يفتحُ ابداً. أنه كلُ مكان وكل شيء ، يراقب ، يراقب ويستمر في المراقبة.

فـي بعض الأحيـان كان يأتي بي الى هـذا المكان ، البارحـة أو اليوم الذي سـبقها ، وربما منذ سـنة مضت أو عشـر. الأيام ليسـت محض الاهتمام ، دائما كل يـوم مثل سـابقه عنيف وقبيح ، الأرض تحتي من عظام. أشـرب من نخاعها لكـن لا أنمو. أحس العظام ، ليتها تحيا سـوية ، أنا وذلك الجسـد العظمي ربما نغـادر ، ربما نقاتل الرجل ونتركه هنا. أخطط وأهمس بخطتي للعظام: سـنقتله ونغرقـه عميقاً ، صوته الدفين وحده فقط هو من سـيخبر قصتي ، إني أخطط ، لكن قصتي لا تزال خفية.

الصبـي يجلـس مطوقا بالقفـص ، راع يتوسـط قطيعه من الدجـاج والإوز. كلٌ حبيـس مثل الـذي يليه وكذلك هو ليـس أقل من ذلك ، سـاقان مثنيتان الى الأسـفل وذراعان تعانقان رأسه ، ما يميزه عن الدجاجة فقط هو قلة حركته.

حيواناتــه الأليفــة تنبشُ وتتنازعُ وتضربُ الأرض من حولــه لكنه لا يتحرك أبداً. إنه يســمع صوتاً ينادي ، صوت الرجل لكنــه لا يتحرك. الصوت يتعالى ويضرب الأرض بقوة من حوله وهو لا يزال متسمراً. الرجل يراه الآن ويدنو منه.

الصبي يرفعُ يده ، إنها حركة من النوع الذي يراه العقل الراجح فقط. أنه يرفع يده ، وقطيعه هائج من حوله.

الرجلُ يثور هائجاً في أسفل الزريبة المنحدرة:

-«أنك قذر لا تصلحُ لشيء أيها الصبي ، سألوي عنقك ، ستكون هناك بقية حياتك اللعينة». الآن ثورته تحتدم ، يرفعُ الصبي يده الأخرى ، عقله الرفيع لن يكون مشوشاً ، إنه يسيرُ بنشاط الى هدوءه. قطيع الطيور ناعقُ حيث لا سبيل لترويضه.

الرجــلُ ينطلق كالرعد من خلال البوابة ووســط الدجاج. إنه صبي ســيء ، أفكاره شــريرة وعنيفة وتعطشــه للانتقام لن يُشــبع. ســوف يأخذ بثــأره ، كان يتأمــل ، ولديه الوقت للتأمل والتخطيط للانتقــام ، والجلوس بهدوء والاتصال بكل شــيء. إنه الأرض والســماء والطيور ، هو كل شــيء لأنه كان يجلس ساكناً للغاية ولأنه كان معاقباً وموجوعاً.

ثمــة بــطء لديه ، الشــمس ترتفعُ بتأنٍ شــديد لكنهــا حارقــة ، متوقدة على الــدوام وحرارتها تفوق الخيال. هي أحرُ من الموت والانتقام. عندما رفع العينين الملتهبتيــن ، توقف الرجل وتوقف كل شــيء. من الآن لا أحــد يغادر بالطريقة نفسها ، لا أحد سينجو من هذا ، لا أحد.

صــاحَ الديك صيحة عميقة ، إنها صوت الطبيعة المهان. صاحَ وصاح ثانيةً ،

شـعرت بالعظام من تحتي ترّد على الصيحة. صوت الفقرات المسـحوقة للحياة الذليلـة ، الكل ينتظر حتـى الرجل الذي ميزته حركته عن كل شـيء آخر هنا ، حتى التفافه القبيح قد توقف. بعد ذلك نظر اليّ ولم يستشـط غضبا بل توقف. للصمت صوتٌ أعظم وأكبر مقاومة من الصراخ ، والسكون ربما يحيل كل ذلك الى فتات.

بعـد ذلك الصيحـة ، الديك والعظـام ، والطيور ذات الأجنحـة التي كانت تضـرب وتضرب ، لم تعد تنقـر الأرض وإنما حولت كل طاقتها نحو الرجل بينما هـو كان يخدش ويضرب ويطوق الطيور التي لم تتوقـف. نهضت ببطءٍ لأقوم ، أشـتدّ الهيـاج فأصبح تمـردا مطلقا ، ثمة ريـش وجلد ودم وعظـم ورائحة نتنة للخـوف. صرخاته التي كانت جديدة على ذلك المـكان التهمها البغض جميعا. تحركت ذراعاه حتى توقفتا تماماً. كل شـيء تحرك حتى توقف كل شيء ، صوته الهائـج تلاشـى ، ابتلعتهُ عظـام الأرض. جثوت علـى العظام وأنجـزت قائمتي الأخيرة. كانت القائمة أقصر وأهدأ ، لقد رحل البغض.

*لويس لوومز: كاتبة من أستراليا الغربية ، تكتب القصص القصيرة. حاصلة على شهادة الماجستير من جامعة ماكواري في سدني. ظهرت قصصها القصيرة مثل " هذا المكان" و " الكذبة" في مجلة «Zine West" الأسترالية.

رفرفْ مثل فراشة
جوان كر*

يعرفُ هاري كيف يجعل الصبي يتحرك. إنه لم يكن خطأ المعالجة الفيزيائية ، أنها مجرد فتاة اعتادتْ التعاطي مع أناس كبار السن. لكن هاري يعرف كيف يجعل الصبي يتحرك. هو فقط قامَ بأداء الحركات الأساسية التي سيحتاجها توني عند عودته الى الحلبة.

آه ، ستكون هُنيهة ، هو يعرف ذلك ، عليهم عدم مواكبة إخباره. إنها ستكون هنيهة فقط.

الحال عينه دائماً عندما ينطلقون عصر كل يوم ، بعد ذلك مباشرة تدورُ في رأسه ذات الصورة. يبدو توني منكباً على وجهه في الحلبة ، والرجل العجوز واقفٌ يلهث فوقه. رجالُ الإسعاف يشقون طريقهم بين الحشود وتظهرُ إشراقة بنطلون الصبي الرياضي الأزرق تحت ضوء سيارة الإسعاف الساطع الأبيض. المقاعد الحمراء والسجاد الرمادي في غرفة انتظار الطوارئ. يدا الطبيب الشاب تحملان ملفاً بنياً كتبَ عليه اللقب. في بادئ الأمر دارَ في خلده:

-"أياً كان ما يقولهُ الأطباء ، فأن عودته للحلبة سوف تستغرق ستة أشهر. أياً كان ما يقوله الأطباء."

في غرفةُ توني في البيت ، عدةُ التدريب كلها على الأرض حيث تجلسُ ماري هناك باكية ، فتعبئها في أكياسِ قمامة خضراء. ولما يقول بأنها مجرد مصادفة ،

يشي وجه ماري بأن الأمر سوء حظ فحسب. هو يغلقُ عينيه. وتخرجُ ماري الى الباحة الخلفية ، تُدخن ، تلّفُ احدى ذراعيها حول نفسها بقوة والأخرى ترفعها بجانب رأسها وكأن أحداً ما ينوي ضربها في حين هو يقفُ عند نافذة المطبخ وكوب الشاي قد برُدَ في يده.

المعالجون مستمرون بالتعاقب عليه شهراً بعد شهر وهم يجترون مفردات لغتهم الاصطلاحية. لكنهم لا يعرفون توني ، لا يعرفونه.

في عصر كل يوم يعودُ هاري الى غرفة توني وبعيداً عن الفريق يرفعه عن الكرسي المتحرك ، وبالرغم من إنهم يطعمونه الدواء الحليبي ، فإنهُ لا يزال جميلاً صلبا. يثبتُ هاري جسمه في الخلف ، ويجعل ركبهُ متوتدة ليبقي الصبي منتصباً. هما تقريبا بنفس الارتفاع. في المرآة يظهر وجه هاري المربع الصغير ، ويبدو رأسُ توني كالفزاعة ورزل كميدج*.

يحركُ هاري ساقهُ للأمام والخلف وساق توني تروح وتجيء معها ، ثم يردفُ قائلاً:

-"أنظرْ يا بني ، أنظر الى نفسك ، إنها كذلك ، أنظر؟". السيقانُ تتحرك للأمام والخلف: "رفرفْ مثل فراشة".

يرفعُ هاري ذراعَ توني ، يثنيها للأمام بحيوية ، ينظران في المرآة الى رأسيهما المتجاورين. "رفرف مثل فراشة ، إلسعْ مثل نحلة!"

يعتقدُ هاري ، تقريبا يعتقدُ إنه يرى الفم يتحرك. ثم يقول:

-"يا لها من حماقة ، أي حماقة فعلت يا بني؟" لقد أبعدت نظركَ عنه. ألم أعلمك أفضل من ذلك؟"

يحكُ هاري رأسه على خدي توني ويقول:

-"رفيقي ، رفيقي ألم أعلمك أفضل من ذلك ؟"

*ورزل كميدج: شخصية الفزاعة التي ظهرت في مسلسل كان يعرض في بريطانيا على تلفزيون ITV في عام ١٩٧٩.

*جوان كر: شاعرة تنشر أعمالها الشعرية في استراليا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، بدأت بنشر القصص القصيرة حديثاً. فازت بالعديد من الجوائز الشعرية منها جائزة كيندل للشعر وجائزة دبليو بي سيت الشعرية. قصصها ظهرت في عدة مجلات دورية منها "Wet Ink» و «Visible Ink". كتبت الروايات الكوميدية تحت اسم مستعار هو جيرت لف دي.

الزائر
ميخائيل كالب تاسكر*

هطلَ المطرُ ببطء وبغزارة وإنهالَ السديم من المحيط الهادئ آخذا طريقه عبر غابة الصنوبر صوب الجبال. كان الشاطئ صغيراً رطباً خالياً لذلك أحبه مورغان الذي يقع بيته الى الخلف وسط الأشجار عند الطرف الشمالي للشاطئ حيث الرمال تفسح طريقا لصخور رمادية حادة ، تجعلُ من مياه المحيط مياهً ذات رغوة وعندما تهب الرياح تمنح الماء قوةً جارفة تشقُ الصخور. يتماهى الهواء الملحي مع رائحة الغابات وأشجار الصنوبر ، وعندما يظفرُ مورغان بصيدٍ جيد فأن رائحة السمكة المجردة من أحشاءها والتي نظفها وقطعها تغري قيوطاً أو إثنين وثعلباً فضياً صغيراً. في بعض الأحيان الثعلب تتملكه الشجاعة ليأتي ويطوف بجوار البيت. ولما يضعُ مورغان السمكة ويرمي بقطعة لحم أو ربما الأحشاء على العشب ، يرصد الثعلب ذلك وهو يستجمع شجاعته ليخترق سكون الغابة خاطفاً السمكة متوارياً مرة أخرى.

جلسَ مورغان على مصطبة بجانب الباب الأمامي ، يرقب الغيوم تُطوى والضباب يخيم. وجهه كان بارداً لاسعاً إثر الحلاقة هذا الصباح. القهوة التي احتساها كانت مرة ثقيلة ، تذكرَ كم أستغرق من الوقت حتى إعتاد عليها. فصل الدفء آيل الى نهايته ومورغان سعيد لعدم قدوم الزائرين أو راكبي الأمواج الهواة مرتدين بزاتهم السوداء لتغمرهم بالدفء ، شعرهم طويل وقد قُصّرَ بمواد

كيمائية لكي يبدو فعل الشمس عليهم. معظمهم لا يركبون الموج لكنهم كثيرا ما يدخنون الحشيش ويتحدثون ، مورغان سعيد بمكوثهم في الطرف الجنوبي من الشاطئ حيث الممر المؤدي الى الطريق السريع على بعد ستة أميال جنوبا. وحيث هم يمكثون ، مورغان لا يسمعهم وهم لا يلمحون منزله المتواري في الضباب والأشجار وكذلك في سُمك عقولهم. عدة شهور من الآن سوف لا يأتي أحد منهم.

تناول مورغان قصباته وشباكه وذهب بعيداً أمام الشاطئ ، أمام منزله حيث الصخور ضخمة كالسيارات والمياه عميقة معتمة وخطرة. مكثَ هناك حتى اصطاد ما يكفيه لمدة اسبوع. يدرك مورغان أن الطقس سيكون سيئاً في الغد ، فيعود أدراجه حيث الشمس تغيب وتصبح رمادية.

ثمة ضوءٍ متوهج في بيته ، فكرَ مورغان ملياً:

-«مُخيمٍ خجول يبحثُ عن دورةِ مياه ؟».

تقدمَ مورغان خطوات الى بيته ثم فتحَ الباب.

إنه لوك جالس على مقعدٍ بجوار النافذة ، لقد مضت أعوام لكنه يبدو كما هو ، عيناه لامعتان ولطيفتان وشعره ناعم كث كشعر طفل ، بيدَ أن غمازاته قد اتسعت لتصبح تجاعيد تضفي قسوةً لحد ما على وجهٍ كان ملائكياً ذات مرة. طأطأ مورغان رأسهُ ملقياً التحية.

لوك: "تبدو بخير يا مورغان".

مورغان:« شكراً ، تبدو كما كنت».

-«نعم».

-«هل تشعر بالبرد؟ أترغب بتناول القهوة أو الشاي؟"

-«أفضلُ القهوة".

دخـلَ مورغان المطبخ ، وضعَ السـمكة التي اصطادها في المغسـلة ، وهمَ بتقطيعها وتنظيفها لكن ذلك بدا له فظاً. أعدَ مورغان القهوة وهو يتساءل:

-«يا ترى لماذا يتواجد لوك هنا؟ قد حضرَ لوك وثمة سبب وراءَ قدومه».

خطرَ ببال مورغان إنه قد جاءَ من أجل العمل سويةً مرة أخرى. قد سبق وإن عملا سويةً لسنوات مضت عندما كان لوك شاباً قوياً ، ولكن الآن مورغان تقدمت به السن وإعتادَ على الهدوء والفراغ. تذكرَ مورغان وجه أرين زوجة لوك متسائلاً:

-" يا ترى هل هما معاً ، وهل لوك مستقر الآن؟"

بحث مورغان عن السكر ظنّا منه أن القهوة تبدو مرةً جداً بالنسبة للوك.

-"تفضل".

بعـد ذلك يتجـه مورغان نحو النافذة حيث يتطلعُ لـوك الى الخارج فيناوله الفنجان. كانت القهوة ساخنة ، بخارها يفوحُ من النافذة ومورغان يراها ثقيلة مسبقاً.

سأل لوك:

-"هل تعلم بأن لي طفلُ صغيرة؟

مورغان: -"تهانينا. كم عمرها؟ "

لوك: -"خمسة أعوام ، ستبلغ السادسة قريباً".

مورغان يخشـى الأطفال ، فهو يظن أنه يفسـدهم ، وكذلك يخشى التحدث عنهم لأنه لم يعرف ما يقول.

-"ما أسمها؟"

إبتسمُ لوك بعيونٍ دافئة وقال:

-"مورغان ، أسميناها مورغان ".

إحتسى لوك قهوته ونظرَ الى الظلام من خلال النافذة. رأى مورغان وجهه في زجاج النافذة: -"مثل اسمي ؟"

-"بلى."

وقفَ مورغان خلف لوك يرقبه ، تمنى أن يقطع لوك حديثه عن ابنته ويخبره عن سبب زيارته قاطعاً ستة أميال بعد غيابه كل تلك السنين. تناول لوك قهوته ووقف وجهاً لوجه مع مورغان يرمقهُ بعينِ محبٍ أو عدوفي محاولة لمعرفة ما يدورُ في خلده. ناولَ لوك مورغان الفنجان فارغاً وتوجه نحو الباب ثم فتحهُ. الهواء البارد يندفعُ الى الداخل ، مورغان تمنى إغلاق الباب ، بيدَ أنه أحبّ رائحة البحر في الليل حيث تبدو أكثر هدوءاً ورائحة الطحالب تتلاشى حين يغمرها المد.

إستدار لوك ليواجه مورغان:

-"إنها لا تشبهني البتة. ابنتي. "

معدة مورغان تنقبض ، هو يشعر بالصغر:

-" لا "

هزُ لوك رأسهُ وهو ينظر للخارج:

-"لا ، تبدو مثلك. "

أوصدَ لوك البابَ بهدوءٍ وإتجه نحو الشاطئ. نظرَ مورغان من خلال النافذة بينما شـقَ لوك طريقه جنوباً بموازاة الشـاطئ حانياً رأسـه ، يجر أقدامه متعباً مخلفـاً آثار خطواته علـى الرمال. وصل لـوك الطريق حيث النهايـة الجنوبية

للشـاطئ ، ثم تلاشـى في الغابات. نظرَ مورغان الى آثار الأقدام. سـتهب الريحُ وبعد ذلك لا أثر للأقدام عند الصباح.

*ميخائيل كالب تاسكر: كاتب ولد في مونتريال وانتقل الى أستراليا منذ عدة سنوات. حصل على

الماجستير في الكتابة الإبداعية من الجامعة التقنية في سدني ، يعمل حالياً في معرض الفنون في نيوساوث ويلز. نشرت قصتها القصيرة " الزائر" في مجلة "Wet Ink" الأسترالية لعام ٢٠٠٨

مطر
رولاند ليتش*

كانت ضجرة وذلك لأن صديقاتها في المتجر قد تمت إبادتهن من الأرض بفعل الطوفان. لقد كنَ نسوة طيبات يعرفن كيف ينتزعن الضحكة من الحياة رغم تسكع أزواجهن. بل كانت هي أكثر ضجراً من زوجها وإلههُ الجبار ، الإله المنتقم ذاتهُ الذي دبر لقتل الجميع إلا أسرتها. هي لم تحب إلههُ ، إنهُ يأمر دائماً بفعل شيء ما. افعلْ هذا ، افعلْ ذاك ، تماماً مثل بعلها وأبيها من قبله.

فضلاً عن ذلك ، ماذا قدم لهُ معبودهُ ؟ الرجل الكبير بلغَ خمسمائة عام قبل أن يلدا طفلهما الأول. بعدئذ كان سام وحام ويافث. كانت لديه فكرة أن يسمي ابنه بإسم حام.

الآن لهُ رب يحدثهُ دائماً ، يعطيهِ الأوامر. إن حياتها عبارة عن قائمة وصايا مستهلةً ب:

-"هذا ميثاق الرب يا زوجتي".

هي سأمت نعتها بزوجة ، وبدا معبوده لا يكلم إلا الرجال.

-دائماً انطلقْ يا نوح أو خُذ أبناءك ، سام وحام و يافث.

أما الزوجاتُ والبنات فينوه لهن لاحقاً وبدون ذكر للأسماء. عندما كان الأولاد يقطعون خشب الغوفر* ويجمعون أزواجاً من الحيوانات ، هرعت هي الى المدينة محذرة صديقاتها من قدوم عاصفة هوجاء. هي لا تريد تصديق ذلك

ولم تكن نذير شؤم كزوجها لكنها فكرت ببعض التدابير في حال وقوع شيء ما.

زوجها لا يعترف بهذا ، فقد كان لديها نفاذ نظر في النجارة. كانت تعرفُ كيف تصنع زاوية مستقيمة وكانت أفضل من زوجها وأبناءه في وضع وصلة مناسبة لمنع تسرب الماء ، لكن نوح احتفظ بالفلك لنفسه وأبناءه ، وأخبرها أن تلازم المطبخ. كل يوم يردُ إليها عمالُ جياع. الفلك المهول قيد الإنجاز في الباحة الخلفية ، يبلغُ ثلاثمائة ذراع طولاً وخمسون عرضاً وثلاثون ارتفاعاً. كان بإمكانها القول أن الفلك لن يطفو.

كان آخر ما عقدت العزم لفعله هو أن تغادر المنزل في حال هطول الأمطار. فضلاً عن نتانة كل تلك الحيوانات الوسخة التي تنثر قذارتها كل يوم.

آنذاك ، قررت أن تجعل النساء من حائكات السلال يجتمعن سوية في قارب صغير. إنهُ ليس بفخامة الفلك العظيمة ، لكنه مركب شراعي صغير قد أُحسن صنعهُ ، يسعُ لاصطحاب قططهن.

تلبدُ السحب وقدومها من الشمال كان بمثابة انذار لها بقدوم عاصفة هوجاء ، تلك العاصفة التي تضرب مرةً في كل قرن ، لقد صادفها الناس من قبل ثم نجوا وعاودوا حياتهم.

عندما ضرب البرق قامت بجمع النسوة ليذهبن الى القارب فتسلقن الى متن القارب مصطحبات أمتعة قليلة مع قططهن ، جلبت زيلا طبق باذنجان لذيذ لليلة الأولى.

وأثناء جلوسهّنَ حول المائدة شعرن بالقاع وهو يرتفع. كان القارب عائما

وشـيئًا فشيئًا شـعرن بأن جزئه الأسفل اسـتقر بوتيرة ثابتة. تبددت ابتسامتهن مثل مياه منفلقة. قالت لهنَّ:

-"أيتها الزوجات..."

توقفت برهة بغية التشويق ، واسترسلت قائلة:

-" ... ما عاد بعيداً. الآن ينبغي أن نختر اسماً. اسماً ليكون خاصتنا". أخذن يفكرن بإيجاز ، وبينما كنَّ يستدرن حول الطاولة واحدة تلو الأخرى ، كل امرأة افصحت عما اختارت.

وبعد أن جاء دور آخر امرأتين ، أدركن إن المرأتين ذواتا الشالات الفضفاضة والأوشحة على رأسيهما لم تكونا نسوة أبداً. وعندما أُمرتا بالكشف عن قناعيهما ، تبين أنهما شابين وسيمين قد وصلا المدينة للتو. بدا إن زيلا جلبت ما هو أكثر من المصقعة*. كل النسوة رأين ما جُلب للقارب ولاحظنَّ أنه لأمر حسن.

*الغوفر: نوع من الخشب صُنعت منه سفينة نوح (ع)، ولم يوجد دليل كافي لتحديد نوع تلك الشجرة ، يُعتقدُ إنها شجرة السرو وذلك لأنها من الأشجار الضخمة والقوية.

* المصقعة: طبق من اللحم المفروم مع الباذنجان والتوابل.

*رولاند ليتش: يُدرس الأدب ويعمل كمدير تحرير لمؤسسة (Sun Line) للطباعة والنشر التي أصدرت تسعة كتب في الشعر الأسترالي. نُشرت قصته القصيرة " مطر" في مجلةWet Ink الأسترالية عام ٢٠٠٨.

الورشة
جودتن*

لقد أدينا التمرين ، كان يتوجب علينا كتابة الأمور التي تعرقل قدومنا الى العمل على قطع صغيرة من الورق. كتبت: إنني أرغبُ في الكتابة ، وليس لدي وقت لأقضيه مع الصغار ، متعبة قانطة يائسة وبلا عون ، فاشلة ومريضة من التعاسة ، حقاً متعبة ، بل أكثر من متعبة. في الحقيقة يتوجب عليّ أن أمزق قصاصات إضافية من الورق لأنني استنفذتُ النزر القليل من الورق الذي حددته المدربة لنا.

كتبت صديقتي: إن الحافلة تنساني في بعض الأحيان.

تساءلتُ: " وهل هو كذلك ؟"

هزت كتفيها وزمّت شفتيها سوية كما يفعل جماعتها ، وبتعبير إضافي من لغة الجسد الماكرة ، قالت زامةً شفتيها: " نعم هو كذلك."

أخبرتها: "يا إلهي ، أنت كاذبة."

لكنها أشاحت بنظرها ، مهانة ليس للاتهام بل لتفوهي باسم الله من غير ضرورة. إنها مدافعة قوية عن العضو الذي لا يفعل لها أو لمجموعتها نفعا كثيرا. بعدئذٍ كيف لي أن احكم ؟ الحياة الروحية ، فك لغز الحلم الجديد يعني لها أكثر مما يعني لي.

لم أحصِ عدد المرات التي تواجدت فيها في ورشات عمل مثل هذه ،

حيث نتحدث وأحدهم يدفع كل ـ أجورنا تقريباً ، ينصتُ لنا ويكتبُ كل ما نقولهُ بعدئذ يرسمُ مجموعة كاملة من الدوائرَ المتحدة المركز ثم يغلقها بملئها بالملاحظات. لماذا الدوائر؟ لأن هذه أرض سوداء ، بلد حالم ، هم شاهدوا النقاط في اللوحات الثمينة في معارض الخيال في الجزء الجنوبي والدوائر الصورية طبيعية لتمثل منظومتنا. في النهاية ، هم يريدون وضع نسق ما ، وذلك لمنحنا رؤية معينة. وذلك هو ما وظفوا من أجله. سيرجعون الى كانبيرا ويدونون كل شيء بالتفصيل ، ولا يتركون حيزاً للدوائر العشوائية. آنذاك كلنا معنيون للمضي قدماً. تلك هي عملية تطور المجتمع التي تفضلها جهات التمويل. أرجوك يا إلهي ، ساعدني كي لا أضحك في وجوههم. هذه المدربة واحدة من أسوأ المدربين. إنها جدُ مخلصة ، كحلاوة السكر.

في ذلك الحين أشعر بالملل ، فأسأل عن الشيء المبكر الجميل:

-"متى موعد شاي الصباح ؟

-"شاي الصباح؟ إنها التاسعة والربع. أظنُ بأننا سنكون مقيدين بجدول ويتوجب علينا الانتظار حتى الحادية عشرة إذا كان ذلك يتفق مع الجميع".

لا أحد ينظرُ إليها أو ينبس ببنت شفة ، لذلك فهي تعتقدُ إنها تلاقي استحساناً. أشعر نوعاً ما بالأسف حيالها لأنها تظن إن قيمتها تكمن هنا بالفعل.

أفتح الرواية التي أخفيها في ملفي واشرعُ بالقراءة بينما هي تقدمُ محاضرةً عن كيفية تصادم حياتنا الشخصية مع حياتنا العملية. تمنحُ الفتاة ميداليةً ، أعتقدُ ذلك. ربما تكون جائزة نوبل ، فهي لامعة جداً والى حدٍ بعيد.

أنها تبدأ بتصفح المشاركات ، فتلتقطها جزافاً. الى حد ما بعض مشاركاتي

حازت على شيء من المراجعة. وكيف لا. فهي تشكل نسبة تسعين بالمئة من المشاركات.

هي تقرأ ويدها فوق ذقنها ، تبدو وكأنها تفكر ملياً:" مريضةُ التعاسة"

-"أي تعاسة ؟"

لم يتفوه أحد بإجابة. فتضيف:

-"وهذه ، ترغبُ في الكتابة. لا يخبرني أحد أنه يوجد بيننا من هو كاتب ملهم."

أبقي عينيّ منسدلتين لئلا تدركُ مدى كرهي لنبرتها المُتعالية. أني واثقة تماما ، بأن لا أحداً سيكتشف أمري. في هذه الاثناء صديقتي تضربني من تحت الطاولة بخفها الوسخ. المدربة تعصر شفتيها وترفع حاجبيها. إنها تفكرُ بشأن تفوهي باسم الله لكي ترد. إني أرمقها بنظرةِ تهديد في حال كان إفشاء أمري لا يضايقها. كومة ملاحظاتي تبدو هائلة. بعد ذلك هنالك تعليقات من الموظفين البيض. أعتقدُ بأن صديقتي هي الشخص الأرومي الوحيد المشارك. المرأة منهمكة بقراءة أفكارهم بتمعنٍ.

أقول: "هذا هراء".

المقدم يبدو متفاجئا.

أطوي متعلقاتي. كل شخص يترقب. الجمهور الأسود كله على يقظة الآن. إنهم يحبون الدراما وإن كان جزءاً من مشهد.

أتناول القلم الأحمر وأبدا بالكتابة على اللوح.

البنات صُرِفَتْ من قبل الأخلاّء ، السيارات حطمها المخمورون ، الطعام سرقه المخمورون ، الاسرة تُعنفْ من قبل المخمورين عند عدم الذهاب لشراء السجائر في الثالثة صباحاً ، ثلاثون شخصاً في البيت ، قد سُرقت البطانيات ،

ماكنة الغسيل الوحيدة في الحي معطلة ، وقد تضرب بالعصا عندما لا تدفع بسرعة للمخمورين ، دورة المياه حُجزت بدراجةٍ ثلاثية ، سيارة لكل خمسين شخصاً ، الشرطة دائماً في استنفار ، لا أحد يتحمل المسؤولية ، ولا يسمح بالتحدث عن ذلك ، لما لا يُسمح ؟

أسيرُ في الخارج ، كالمعتاد ضوءُ الشمس ساطع ومثير للبهجة. أبدأ قراءة كتابي من أجل الاسترخاء. تدنو صديقتي من الطاولة وقد أعدت كوبين من الشاي. ألاحظها تمزجُ الكثير من السكر في الأكواب الصغيرة. لابد إن ذلك من أجل الصدمة لأنه في العادة كلانا لا نتناوله حلوا. هي مصابة بداء السكر ، وأنا لا أحبذه. تناولني كوباً ثم تجلس بجانبي. دخان سيجارتها يبدو لطيفاً ، ثم تضحك وتقول ببهجة مقيتة:

-"لا بد أنك قد رأيتي وجهها".

بعد ذلك ندلق الشاي الساخن ونرتعش عمداً فننفجر ضاحكتين كالمجانين ، لأنه بعد كل ذلك ماذا بوسعك أن تفعل ؟

*الأرومي: واحد من سكان البلاد الأصليين أو القدامى.

*جو دتن: كاتبة أسترالية تقطنُ في أليس سبرنكز ، من أعمالها رواية " خارج المكان" التي نشرت عام ٢٠٠٦. كانت قصصها القصيرة تبث على قناة أي بي سي وقد ظهرت في دار Ptilotus Press, Living Room. نشرت قصتها القصيرة " الورشة" في انطولوجيا «The Milk in the Sky» التي تصدر عن دار" Ptilotus" في أستراليا الوسطى.

ملح
بيتا ميلر*

بينما كنت أصارعُ مفصلة البوابة القاسية ، بدأتُ أظن إنها لم تكن فكرة جيدة. في الليلة الماضية ، وفي استراحة الحانة بدا الطريق المختصر هيناً:

-«استقطعْ أكثر من ساعة من وقتك. فقط إرمِ المفتاح في الملهى الليلي عندما تسلك الطريق السريع على الطرف الآخر.»

مالك المحطة الودود استرخى مطمئناً. افترضتُ إنهم ربما يأتون للبحث عني في حال عدم العثور على مفتاح البوابة.

في الحقيقة ، كل الجهد القاسي من فكرة المجيء الى أستراليا الوسطى ، والاهتمام لمساعدة المجتمعات الى اليوم الحاضر ، أحالني ذليلاً للغاية كما أذكر.

وبينما كنت أدفعُ البوابة فكرت أنه ربما كان من الأفضل لو رجعت شرقاً. لقد علقَتْ سريعاً ، وأنا أكيلُ الشتائم بينما أرفعها وأسحبها لتفتح. حاولت أن أهدأ نفسي بإتباع تعليماتي: « نصف دزينة من البوابات كلها فتحت عدا الأولى والأخيرة. خطط لرحلتك على مدى خمسة وستين كيلومترا عندها ستكون خارج تانامي*. ثم قم بإستدارة الى اليسار حيث يقع الملهى الليلي على بعد نصف ساعة ، والى يوموندو* أمامك مئة كيلو متر أخرى.

قطعتُ حوالي عشرة كيلومترات فقط وسلكتُ طريقاً للذهاب. الشمسُ أحرقت رأسي المكشوف ، بقيت قبعتي على مقعد الركاب. لقد كان الربيعُ مبكرا ،

لكنه كان حاراً جداً مقارنةً بمدينتي. مع ذلك توجب عليّ أن أجرب الصيف في الخارج. بينما كنتُ أقود السيارة وأوصدُ البوابة خلفي ، شعرتُ بثقل في مزاجي ، أعني ، هل كنت نافعاً فعلاً؟ شعرت بأني أخرق وغبي في هذا العالم الجديد. العنف الفج والحزن المغروس في النفس كانا ماحقين أكثر من الأعذار اليائسة لمتعاطي المخدرات والمتشردين. هل لي أن أدعو هذا العالم الغريب وطناً أو ينبغي أن أدعوه منفى ؟

سرتُ ببطء على طول طريق متموج قادني الى كثبان رملية عنيدة منقطة بنباتات شوكية وأدغال عشب الصحراء ، مساحات الرمل غير محددة فضلاً عن آثار حيوان هائم وتيارات الرياح. لمحتُ الفرق عاجلاً بينما كنت أسير الى جزيرة منعزلة منحرفاً عن الطريق الترابي الذي كان طريقاً رئيسياً خارج الموطن ويؤدي الى أليس سبرنكز. لم يعُدْ جانب الطريق مكسوا بحطام هياكل السيارات المقلوبة رأساً على عقب مثل هياكل خنافس ميتة جوفاء العيون أو التهاليل المزيفة للزجاج والقناني المتلألئة التي شربت بسرعة ثم تحركت بتثاقل قبل وصول المواطن الجافة. لم أدرك ذلك من قبل ، لكنني كنت مرتاحاً بغرابة لتلك المناظر بمنأى عن الأدغال ، وكنت متأكداً إنه إذا ما عَلقْت فإنه في النهاية ثمة شخصاً ما سيكون في الأمام.

أنا وحيد الآن ، وحيدُ بالفعل. بين البوابات البعيدة ، الطريق هو العلامة الوحيدة لأي أثر لإنسان في الريف. أبصرتُ قمة بئر في العراء. استغرقتُ في المشهد ، أرفعُ رأسي من حولي إثناء مروري ، ضللتُ الطريق تقريباً فوصلت الى شجرةِ فلين ، أقعيتُ متيبساً مثل رجل عجوز ينهضُ من مقعده على حافة الطريق.

قلبي يندفع كصاروخ. كدتُ أرتكب حادثاً. أحمق! ركنتُ السيارة الرباعية الدفع وأملتُ رأسي على العجلة ، تنفستُ بعمق. دراما وضوضاء الأيام القليلة الماضية لمعت بمخيلتي ، حاولت حجب تلك الصور. بحثتُ بارتباك في صندوق السيارة عن سجائري وقداحتي. الدخان اللاذع مزق حنجرتي فأمسكني السعال ، ما زلتُ معتاداً على الضربة الأولى للنيكوتين حتى بعد خمس سنوات من الإقلاع عن التدخين. كل الارتياح قد تبدد من النافذة عندما وصلت أليس سبرنكز وعاودت الإفراط بالتدخين مجدداً.

أطفأت الماكنة وترجلت ، نظرتُ من حولي. المطر النازل للتو قد غسل المشهد الطبيعي غسلةً خضراء شاحبة وريشات الأزهار الصفراء الصغيرة فرشتْ المناطق المفتوحة بين أيكات أشجار الأكالبتوس وسنديان الصحراء. شمس الصباح المتأخرة أبطلها النسيم والببغاوات ابتلعت الزمرد بين الأشجار. وقفتُ في الظلال ، أنهيتُ سيجارتي ، أطفأتها بقدمي بتريث ثم أخذتُ عقبها معي الى السيارة.

فعلَ النيكوتين فعلهُ وشعرتُ بهدوء أكثر حينما كنت أقود السيارة. وصلتُ المقعد الذي بجانبي وبعثرتُ كوماً من أقراص الفيديو التي انزلقت الى الأرض محدثة طقطقة. كنتُ أفتشُ عن دليلي الميداني الى أستراليا الوسطى. دنوت لأبحث في المقعد الخلفي غير راغب لأجرب إخفاق آخر ، تحت كوم الملابس ، قناني الماء والخرائط ، أخيراً عثرت عليه على الأرض تحت صندلٍ اشتريته منذ وصولي لكنه يبدو ماركة جديدة ، الغلاف يطقطقُ عند فتحه. كان لديّ هدفاً أولاً لقضاء أيام طويلة مملة مستكشفاً ، لكن لحد الآن يتوجب عليّ فعله ، وقعتُ في دوامة من القلق ، تلك هي مهمتي الجديدة.

بينما كنت أنقبُ في الكتاب ، تتبعتُ اسم مجموعة أزهار الليمون التي رأيتها في كل مكان. من كان يعرفُ بوجود الكثير من الزهرات الصغيرة في هذا الجزء من العالم ؟ ربما نوع من أزهار الربيع ؟ أخذتُ عينة ضغطتها برفق بين الصفحات.

كلما سرتُ لمسافة أبعد كنتُ ألاحظ ازهاراً برية أكثر ، أرجوانية ، بيضاء ، حمراء ، صفراء ، أعشاشاً مرقعة معلقة في الأشجار ، كثباناً رملية تتقدُ بلون أحمر لم أر لها مثيلاً من قبل. توقفت لألتقط زهوراً أكثر وأضغطها بجانب الأخريات ، بقصد تأملها هذه الليلة.

قبل أن أندفع بقوائم كالركائز وأتخذ غطاءً لمسافة آمنة ، برز لي جملان بريان. من داخل سيارتي لمحتهما يختفيان في أجمةٍ خفيضة ، لحظتُ كيف ارتفعت معنوياتي.

شغَّلت قرصاً مضغوطاً وحالاً بدأ الغناء بصوت باول كيلي الرنان. ارتفعت ارتفاعاً حاداً وقبالتي تقع بحيرة ملح واسعة بيضاء مضيئة تمتد بعيدا مع امتداد خط الأفق على الجانب الآخر من الطريق. كبحتُ الفرامل فجأة عند هذا المنظر فتوقفت الماكنة.

كان المشهد يؤذي من ينظر إليه ، كان السطح ساطعاً جداً ، لكنني لم أستطع صرف نظري ، فقفزت خارجاً. سطح المنخفض كان مغطى بطبقة سميكة من الملح المتوقد والمسحوق مثل أوراقٍ ذابلة تحت حذاءي. الرائحة الخافتة للمياه المالحة ذكرتني بأرصفة السفن في ملبورن.

انحنيت وقبضت على بعض الملح بين أصابعي ، تذوقته بطرف لساني. بينما تحركتُ وعدوت

بخفة بعيداً الى البحيرة ، أصبحَ الجلدُ ناعماً فقد اخترقه الطين الكرميلي في الأسفل. لمحتُ عدداً

من آثار كنغر قد غُرست على السطح ، كانت تتجه نحو وسط البحيرة ، رغم انقطاعها.

راجعا الى اليمين كنت أرى أمامي فوضى في القشرة ، كان لدي فضول فتوجهتُ نحوها. هناك المزيد من البصمات لقدم إنسان عارية. كانت واسعة عريضة على الأقل بحجم احدى عشر. وباقترابي من مجموعة أخرى تكسر الملح ، فأصبح أدق وأصغر مما كان عليه.

ثمة مسافة قصيرة كانت قبل أن تبدأ آثار الإنسان بملاحقة آثار الكنغر باتجاه وسط البحيرة.

مقترباً أكثر فأكثر حيث الآثار تقاربت وقاطعت بعضها الآخر ، كانت رؤيتي قد تضاءلت لحد إنني كنت أرى الآثار في الملح فقط.

داوم الكنغر على خطى موزونة ، إنه مجهد لكنه غير خائف ، كان يتلقف رائحة الإنسان كلما تنتقل الريح فجأة ، ويشم العرق. كان يعدو بسرعة ، وبسيقان قوية قفز الى الملح من أجل الأمان.

شرعَ الرجل والصبي بالركض ، خطواتهما تطول وتغور في الطين. هما يلحظان الكنغر مذعوراً الآن ولقد تقدم على مطارديه. كتل الطين تتطاير كلما تمخضت الأرض تحت الأقدام ، أسرع فأسرع ، ثمة رائحة للخوف واتساع في بياض العين.

خطوات الرجل التي بلغت أكثر من ستة أقدام طولاً كانت تغور في الأرض لإنشات فوق كاحليه ، الطين قد إلتصق به بينما كان يحث الصبي ليركض قائلا:

-"أسرَعْ ...أخَفْ ، أركضْ!"

تجاوزَ الصبي ثلاث خطوات أمام أبيه وهو يسابق الحيوان المتعب. قدماه تحترقان ورئتاه تؤلمانه كلما جذب أنفاسه ، إنه كان يسمع لهاث واجترار الكنغر ، ويراه يقفز بوهن الى الأمام. لقد راوغ جيئة وذهاباً مغيراً اتجاهه شرقاً ثم غرباً محاولاً الفرار منهما.

الرجل الكبير ضاعف تراجعه ، والصبي يركض في مسار دائري واسع. إقتربَ الاثنان كفكي كماشة ، كانا يعدوان في دوائر أصغر وأصغر حول الطريدة حتى كانا قاب قوسين أو أدنى حينها سيكون الرجل منقضاً على فريسته.

توقف الكنغر فجأةً وانتصب على سيقانه المرتعشة. لقد شخر وكانت هنالك رغوة من فقاعات دم وهو يحدق بعيون جاحظة سوداء ملؤها الرعب. وثبَ الى الحفرة القريبة ، لكن حركته الرشيقة الأخيرة انتهت بنصف خطوة. حينما اخترق الرمح جانبه طرحه أرضاً على مهل. الأحمر على الأبيض ، رائحة البحر والنحاس ، الاثنان سارا بعيداً.

الملح يلسع يدي ويرجعني الى الخلف. جثوتُ وإمتدت يدي الى سطح البحيرة. كنت لاهثاً غير متأكد أهو جذل أم إعياء. آثار الأقدام تقرعني ، الأرض جدراء كأنها مرعى لماشية بعد المطر. هناك مسحة باهتة وتمزق خفيف للجسم يقع في وسط الفوضى. الهواء ساكن ، البحيرة تطفو كأنها سراب. قبعتي تسقط في الطين المُزْبد على بعد أمتار قليلة.

مرتفعاً ببطء رأيت أني أتبع الآثار لحوالي كيلومتر ، شاحنتي العائدة للدولة تبدو كبقعة مائية في منطقة نائية. لا أعلم كم مر من الوقت بيد أن الشمس كانت عمودية على الرأس.

ويهبُ النسيم ويرفعُ الشعر المتعرق عن جبيني. وبينما تسكنُ الريح ، ألاحظُ بازاً يرتفعُ وسط المنطقة ، يحومُ حولي وصوت الأشجار يهب للخلف والأمام ، رغم إن أقرب الأشجار كانت بعيدة في المسافة. بينما أتقدمُ نحو السيارة ، مرفرفاً ذراعي في الهواء ارتجفت ، شعرتُ وكأنني نظيف ، نقي خفيف كريشة.

بالكاد أستطيع الانتظار كي أعود الى أليس سبرنكز. بدأت أنعطفُ ببطء مكشراً مثل معتوه.

*تانامي: صحراء في شمال أستراليا تمتد في الإقليم الشمالي وأستراليا الغربية.

*يوندمو: مدينة في المقاطعة الشمالية في استراليا.

*بيتا ميلر: كاتبة أسترالية من أليس سبرنكز ، لها مقالات في عدة مجلات ، وكتبت عدداً من المراجعات والعروض في صحيفة إقليمية. عملت في تجارة الكتب لعدة سنوات وتعمل على كتابة رواية للأطفال في أستراليا الوسطى. قصتها القصيرة " ملح " حازت على المرتبة الثانية في منافسة للقصة القصيرة في أليس سبرنكز في عام ٢٠٠٥.

البيت المحترق
كيرن فينان

بدلاً من ان اقتفاء الممر المعتاد الى المَرْقب ، تنحرفُ ميغان الى طريق قديم ومحير متجهة شمالاً بعيداً عن المدينة ، بمحاذاة قمة التل. الطريق يتخذ مساره خلال الصخور وينتهي الى جانب التل. ببساطة الطريق عُمل من خلال الناس الذين مروا من هنا على مدى السنين لكن ميغان تعتقدُ أنه لم يُصمم بشكل مرض.

تقول ميغان لجيرد الذي يسير خلفها:

-"أحبُ تتبع الممرات". أنها ليست المرة الأولى التي تقول فيها هذا. " أحب التفكير في أمر الناس الذين مضوا. كم من الوقت قضوا هنا ، هل تفكر بذلك ؟"

هي تعرفُ إن فكرة الناس الآخرين سبب يدفعُ جيرد لعدم تتبع الممرات. إنه يحبذ فكرة الذهاب الى مكان لم يسبقه اليه أحد من قبل ماعدا زوجته. فهو يحب أن يراها أمامه.

بعد ذلك مباشرة ، ثمة كنغر رمادي يعبر الممر القريب الى قمة التل. لدى ميغان من الوقت ما يكفي للتأمل في جمال فروته الرمادية اللؤلؤية ربما لأنها غُسلت بمياه المطر ، قبل أن يلتقط الكلب رائحته وينهض. بالرغم من إنها تشعر دائماً ببعض الإساءة من فعل الكلب هذا لكنها تستمتع عندما تشاهد سرعته بين الصخور والطريقة التي يمسك بها الأرض برشاقة مثل الكنغر.

تخامرها بعض البهجة لأنَّه يوظف دماغه ، وهو يذهب فوق قمة التل ليوقف الكنغر على الجانب الآخر ، بيد أنها تسرُ نفسها بأن الكنغر أيضاً يتقدم بشكل جيد وبالنتيجة سوف يفلت.

الطريق بدأ يحيط بالتل مباشرة أسفل القمة ثم يضيع على الجانب الشمالي الأكثر وعورة. ميغان تبدأ باقتفاء طريقها عبر الصخور مدركة بأن جيرد سيكون راضياً. تبدأ ميغان ثانية مواصلة سيرها باتجاه ما يبدو لها كطريق ، ولكن في كل مرة يبدو إن الطريق ليس أكثر من مجرد شريط ضيق من أرض منبسطة بين صخور بارزة. إنهما ينزلان الى وادٍ صغير حيث يكمن الماء في برك في قاع نهر صغير. الكلب يلحق بهما ثانيةً لاهثاً سائلاً لعابه ، فيقودانه الى الجدول حيث يلعق الماء بشراهةٍ.

كلاهما يلاطف الكلب ، وفي كل مرة يسيران يأملان أن يتبعهما الكلب ، إنهما يحبذان فكرة الكلب الوفي. بإعتقادهما إنه كلما يقومان بملاطفة الكلب بما يكفي فإنه سيتعلق بهما بدلا من تعقب الكنغر ، لكنه يخيب ظنهما دائماً.

تبدأ ميغان بتتبع النهر الصغير للوراء حتى قمة التل ، في محاولة لتكون على مرتفع مرة ثانية. إنها متلهفة لتشرب من ماء البِرَك ، إنها تحب الطعم المعدني لمياه المطر الطازجة المتجمعة في الصخور. إن البِرْكات ساكنة نقية وصافية بما يكفي لرؤية الكنغر وهو يسقطُ مضطجعاً فيها. وبدلاً من ذلك تشرب ميغان من قنينتها. بقيّ الكلب ملتصقاً بها لبرهة ، إنها تواصل التقدم ، وترفع وجهها متطلعة الى المطر اللطيف المعلق في الهواء.

النهار غائم ورطب جداً وهذا يذكرها بأوروبا. التزايد الطفيف لظل السلسلة الصخرية مقابل السماء ، والضوء الرمادي الذي يجعل لونها كئيباً ، يعيدُ الى الذاكرة أعياد الميلاد الشتوية للسنتين الماضيتين في بيت شقيق جيرد. جيرد يتقدم ، وميغان تتذكره راكضاً هو وأخاه في الغابات المظلمة المتجمدة ، الاثنان ثملان جداً ، لقد خلعا القمصان ، ظهراهما العاريان أبيضا اللون مرقشان من شدة البرد ، وقد تحولا الى اللون القرمزي حيث يصفع أحدهما الآخر وهما يضحكان ويصرخان. تبتسم ميغان وهي تسترجع تلك الذكرى لكنها تتساءل لماذا لم تفعل الشيء نفسه مع جيرد. لماذا لا يضحكان ويصيحان الآن ؟ هي تنظر الى شعره الخفيف وكتفيه اللتين تغطيهما قطرات الماء ، فتضع يدها على شعرها وتشعر بجفافه وتجاعيده تحت الطبقة الخفيفة من النداوة. لقد إختفى الكلب في مكان ما خلفهما.

عند قمة التل ، تسير ميغان في الطليعة ثانية ، تبحث عن صخرة تطل على المشهد. هي تريد أن يمتد نظرها بعيداً الى الأسفل صوب سلسلة من الوديان الصغيرة وخلف التلال باتجاه السلاسل الجبلية الى الجنوب وبعيداً شرقاً وغرباً على الجانب الآخر. وحالاً تجد المكان المناسب فيجلسان ، ويخرجُ جيرد ترموس القهوة من جعبته.

إنهما يحتسيان القهوة بصمت ، فقط يخبر أحدهما الآخر كم هو مستمتع بالسير. هما يعيشان معاً قرابة عشرين سنة ويصممان على قضاء هذه الساعات بمفردهما سوية من كل اسبوع. ميغان تحدثُ نفسها قائلة:

-"خلافاً لذلك ، كيف سيكون الأمر ؟ إنهما سعيدان للغاية".

هي تعرف بأن جيرد سيقول بأنه أسعد رجل على الأرض بيد أنها قلقة جداً ، بقدر تعلق هذا الأمر بمشاعره نحوها ، كم هشة هي هذه السعادة. عندما تكون سعيدة تبدو أكثر قوة. في بعض الأيام عندما تكون أكثر ريبة حيال نفسها ، تعجبها قدرة جيرد العظيمة على السعادة.

الآن يسيران مفترقين من أجل التمرين لكن في الأغلب من أجل جمال المكان ، الذي يدركان بأنهما يعقدان الأمل عليه ليسمو بهما. عند العودة الى منزلهما المستأجر يتوجب على ميغان العمل بجد لكي تهزم الشعور بالاكتئاب ، الشعور بأنها تنتمي لمكان كهذا ، بيت صغير قبيح يقعُ في ضاحية من غير امتياز ، في بلدة تائهة في الصحراء ، ومحاط بكلاب تضجُ بالنباح. هي تقرّع نفسها للأخذ بمقترح استئجارهم لهذا المكان.

شيء ما يحدث في البيت الذي يقع عبر الطريق ، ذلك البيت الأوسط من بين ثلاثة بيوت حكومية. ثمَّة ثلاث مجموعات من أسيجة القصدير ، ثلاث حظائر من الوسخ المكشوف ، عشب اصفر مبقع ، وثلاث مجموعات من الصغار الذين اختاروا طريق المشاة مكاناً للعب. هنالك عصبة منهم زهاء ستة أو سبعة يعتنون بطفل ، إنهم يحبون التحدث فيتساءلون:

-" ما اسمك ؟ هل كلبكِ يعضْ ؟"

لقد تجمعوا حول الكلب ليحتضنوه.

-"يا ، لقد شتمتك!".

إنهم يبقون في الخارج لمعظم الليالي حتى وقت متأخر.

بعض الأحيان الصبي الأكبر يتولى المسؤولية ، في الأسبوع الماضي اصطحب الأطفال جميعهم الى المتنزه عدا صبية صغيرة ، كانت تجلسُ باكية على سياج البيت الأوسط. عندما تقدمت ميغان نحوها وتحدثت إليها ، كانت خائفة من رجل يقوم بأفعال سيئة تجاه الأطفال الصغار. الصبي الأكبر عاد ونعتها قائلاً:

-"عاهرة غبية صغيرة".

في هذا اليوم عندما وصلَ ميغان وجيرد الى البيت ، ألفيا الأطفال مجتمعين حول سيارة الشرطة. ميغان تداوم على المراقبة خلال النافذة ، للوهلة الأولى ترى الأم واقفة أمام باب البيت الأوسط مكتوفة الذراعين. ميغان تدرك بأنها قد رأتها مرة أو مرتين من قبل في متجر الزاوية ، انها امرأة خاوية نحيلة بعيون زرقاء محاطة بهالات حمراء ، شعرها مرفوع الى الخلف عن وجهها. أفراد الشرطة وهما رجل وامرأة يتحدثان الى طفلها ، لم يتواجد أحد من المجموعة الصغيرة ولا الصبي بذيء اللسان ، بل واحد في الوسط ، تتساءلُ ميغان:

-"أين كان كل تلك الاشهر الماضية ؟".

تشيح ميغان بوجهها بعيدا مصوبة نظرها باتجاه غرفة المعيشة المستأجرة والمطلية باللون الأزرق مثل حمام طلاب المدرسة المزودة بضوء نحاسي وستائر كمارت. ما أن تستذكر تلك الصورة ، لتجد صعوبة في تجنب الخضوع لتأثيرها.

كان بحوزة ميغان و جيرد بيت لكنه إحترق تماماً منذ حوالي سنة مضت. في الآونة الاخيرة ميغان تفكر بذلك ، متسائلة هل من المهم أن تتذكره بوضوح. هي تحدث نفسها أنه ينبغي عليها حالاً أن تدون بالتفصيل كيف كان يبدو بيتهما.

تبدأ ميغان بغرفة نومهما هي وجيرد ، فتتذكر البقعة الوسخة على امتداد الجدار التي نتجت من الاتكاء على الجدار لسنوات عدة. حاولت جاهدة أن تكشطها لكن بدون جدوى ، لم تفكر أبداً في إعادة طلاءها ، وتتساءل الآن لماذا لم تفعل ذلك. الجدران لا تزال كما هي صفراء ، اختارتها ابنة جيرد عندما كانت الغرفة خاصتها لأكثر من عشرين سنة. النار أذابت طلاء الجدران ، مخلفةً شيئاً من الرماد ، إنه أكثر من غياب اللون ، تحديداً عند مقارنته بالألوان الرمادية التي شاهدتها هذا الصباح — اللون الرمادي اللؤلؤي لفراء الكنغر ، والرمادي الضبابي لكل ظل في السحب التي تحجب التلال والسلاسل الجبلية. الأكثر تحديداً في البيت المحترق ، هو ذلك السواد المخملي للكتب المتفحمة ، ورفوف الكتب والملابس والخزانات. لو منحت لنفسها الوقت ، تعتقدُ ميغان بانها سوف تستطيع تذكر كل الملابس المعلقة في الخزانة. انها تحب الملابس الجديدة ، لذلك ليس بالأمر المزعج جداً فقدها كل ملابسها القديمة. مع ذلك فإنها عالقة في مخيلتها ، ربما لأنها ممتلكات شخصية جداً. تتخيل ميغان فستان زفافها وهو يحترق ، لقد كان فستان نسائي ملائم تماماً ، الرمادي الفحمي يمتزج بالقرمزي ، حيثُ التنانين التي تبثُ النار مطرزة على القماش. تعتقدُ ميغان لو أن الصورة كانت أداة في فيلم سينمائي ، فإنها ستكون صورة رمزية تُدركُ ذاتياً.

في الغرفة ، لم يكن هناك ما يتعلق بجيرد بقوة ، بالطبع ملابسه معلقة في الخزانة لكنه لا يأبه لها. في الحقيقة ، منذ حادث الحريق غالباً ما يُغضب ميغان بإخباره الناس بأنه مستمتع جداً لامتلاكه ثلاثة قمصان وثلاثة بناطيل ، لم يكن هناك شيء في البيت يندم على فقدانه بشدة. إنه لم يقض وقتاً في البحث

عن أية أشياء ، حقاً لم يفهم حاجة ميغان لفعل ذلك. هو لم يكن مهتما جداً حتى عندما عثرت ميغان على بعض صور الطفولة بالأبيض والأسود سليمة ، فأنها لم تفهم عدم الاكتراث هذا. لقد أحب جيرد سرد القصص عن طفولته ، بيد أنه غالبا ما يكون هناك نوع معين من القصة يتعلق به كونه مازحاً ومتمرداً.

الأشياء التي تعلق بها جيرد هي الآجر وملاط* البيت وكذلك موقعه ، فقد صمم البيت بنفسه. كل غرفة مفتوحة الى الهواء الطلق. لقد أُنشأ البيت على خمس فدانات من أرض كثيفة الأشجار ، فخامة لا تخطر ببال أحد إلا الاثرياء في أوروبا المكتظة حيث هو ترعرع. البيت مواجه للغرب وجيرد أحب الجلوس عند باحته وقت غروب الشمس عادة حينما يحتسي الويسكي. وغالبا ما كانت ميغان تجلس معه ، وعندما يحين وقت الدخول للبيت (حيث يكون الاطفال جائعون) ، كان يقول دائما:

-"عشر دقائق أخرى ، فقط عشر دقائق. بعض الأحيان هي تبقى وأحيانا أخرى تذهب".

في البيت المُستأجَر توقفت عادة الشرب عند الغروب ، إنهما بالكاد يتمكنان من رؤية السماء وراء السياج الخلفي وقمة سطح الجيران.

أحبت ميغان بيتهما القديم وتصميمه لكن شعورها معقد فيما يتعلق بالعيوب التي تراها ، على سبيل المثال ، واجهته الغربية التي تأتي بحرارة الصيف الحارقة. مواده وتصميمه النفعي ، كلما شعرت بعدم الارتياح فإنها تلمح ذلك وفي سرها أحياناً كانت تشعر بالسعادة لأن البيت قد ذهب.

عندما دخلت البيت المحترق للمرة الأولى ، شعرت بالخوف والدهشة لحالته

المتغيرة. لم يعد هنالك سقف ، وكان ضوء الشمس قد اخترق حديد السقف حيث انفجرت الصوملات والألواح المفككة تصاعدت في الرماد المشتعل. بزفرة من هواء كئيب ، ظنت ميغان إن سلك الدجاج الذي أبقى قالب السقف متماسكاً قد تعلقَ في تجويف مثل شِباك الصيد. رغم مرور ثلاثة أيام بعد أن أخذت النار والدخان طريقهما الى الأعلى حيث الفجوات في السقف إلا أن الهواء أججَ الجمر ليتوهج ثانيةً. الضوء المتسرب الى الداخل قد امتصته أكوام السواد الكثيفة للرماد والفحم. ما زال هناك شكل للمطبخ: الأدراج مبعثرة والمدفأة ملتوية ، القدور الصغيرة في كوم مبعثر أسفل النافذة الفارغة مليئة بالمادة المتفحمة ، وجبة الطعام المفجعة. لقد وَجَدتْ كوباً وصحنين من الطقم الذي أعطاه الأطفال لهما. كان الكوب مليئاً بالرماد الخفيف مثل كابتشينو. حملته ميغان خارجاً ، متسائلة فيما إذا كان يتوجب عليها أن تحتفظ بالمحتويات ، متسائلة فيما إذا كان من الازدراء بعثرة الهيئة التي يبدو عليها البيت وكل شيء فيه الآن.

في البيت المُستأجر ، تجلس ميغان على كرسي مريح لكنه قبيح وتفكر:

-"ربما يتوقَع أحدهم إن حريق البيت نقطة تحول. في الواقع إن الكثير من حياتهم هي وجيرد والأطفال لا يزال كما كان من قبل. لو أخذت بنظر الإعتبار كم من الوقت والجهد يُكرس في بناء وصيانة بيت ، عندها ستفكر بأنه من المهم أن تزيله تماماً. جيرد لا يملك وقتاً لأفكارٍ كهذه ، 'الخطب يقع وأنت تتماشى معه' هذا تقريباً ما يلخص طريقته ، وبعيداً من ميغان التي تعتزلُ بنفسها ، هو لا يزال ينتظر للأهمية أو نقطة التحول تلك لتكون ملموسة".

لحظة الاشتعال تلك كانت قصيرة جداً! وعندما جُرّدوا من كل شيء ، أخذت ميغان تفكر:

-"الآن علينا أن ننجو فقط".

كل التردد إزاء كل ما كانوا يفعلونه ، وكل السخط من الممكن تركه الى الوراء. بإمكانهم البدء بما هو جديد ، لكن ينبغي التفكير في الأطفال فليس هناك أدنى شك في مدى حاجتهم للبيت. لقد ترعرعوا في تلك المدينة ، حيث كان أصدقاءهم. إنهم ليسوا بحاجة الى مزيد من الاضطراب من الآن فصاعداً. سرعان ما عادت الحياة إلى سيرتها الأولى بالرغم من إن الوضع قد تغير ، بيت يجب ان نرتبه ، وأن نعمل وندفع لذلك ، وأن نطهو وننظف ، ولنكون فيه عندما يعود الأطفال ، وكذلك لنأوي اليه كلباً تائهاً.

ميغان تستعيد صورة المرأة وأطفالها الثلاثة في ريو منذ عدة سنين مضت. قد حلَّ الليل والأطفال متعبون بعد يوم من التشرد كما تصورته هي ، لقد كانوا في شارع جانبي مباشرة خلف مقاهي الشاطىء المضاءة وحانات كوباكابانا. كان لدى المرأة ألواح من الكرتون ترتبها بشكل أنيق على طريق المشاة. نامَ الأطفال فغطتهم بمعاطفهم ، كانت تمسد شعرهم وهم يغطون في نوم عميق.

رجعت ميغان الى غرفتها في الفندق مع ابنتها الصغيرة وفعلت فعل المرأة عينه مع أولادها. هي لم تدّعي بعدم وجود عالم من الاختلاف بينهما ، لكنها شعرت بشيء يربطها بالمرأة علاوة على علامات الأمومة المشتركة بينهما.

الذاكرة ترحل بميغان الى خزانة في البيت المحترق. لسبب ما هي غالباً ما تفكر فيها منذ الحريق ، إنها تحتوي على مجاميع من خرائط أستراليا ، اوروبا

الغربية ، جنوب شرق آسيا ، وأمريكا الجنوبية ، وكذلك دليل الشوارع لبعض المدن التي سكنوها من قبل سوية أو متفرقين. هل سبب تفكيرها هو وجود العالم حيث شعرت بانجذاب نحو النار التي ألقت بكل شيء في العراء؟ هي تسخرُ من الفكرة ، وتدرك إنها مجرد خيال.

جيرد يغلبه النعاس وينام فوق كتابه على أريكة قديمة منحها له صديق. رأسه يستريحُ مباشرة على ذراع الأريكة ذات النسيج المتهرأ وقد نفش الأطفال حشوتها فوق الأرض. يفتح جيرد عينيه ويبتسم:

-"لماذا تشخرون ؟"

-" أتساءل لماذا أفكر دائما بالخزانة مع الخرائط" هو لا يسأل ماهي الخزانة وماهي الخرائط.

-"هذا لأنك تحبين أن تعرفي الى أين أنت ذاهبة ، على العكس مني." ثم يعود يغلق عينيه ثانية:

-"طوال تواجدي معك"

تذهب ميغان الى النافذة ، أشياء من البيت أخذت تتكوم على الطريق. وصلت الجدة وأخذت تراقب الأطفال من مقعد في مقدمة البيت. كل مجموعة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ستة الى سبعة أعوام أقامت مخيماً في الباحة الأمامية ، البطانيات والوسائد في الثرى. في الداخل الطفل يصرخ ، لا أثر للأم أو الأولاد الكبار. ميغان تلاحظ إن الألواح التي كانت مثبتة على النوافذ الأمامية قد رُفعت. تقول ميغان لجيرد:

-" إنهم يرحلون."

تفكر ميغان وهي عائدة الى الممر عبر التلال ، فترى نفسها راكضة على امتداد قمة التل ، جيرد خلفها ، الأرض تثور من حولهم. نظرت الى قدميها فرأت في ظل الصخرة السرخس الأخضر الصغير الذي يزهر مع نزول المطر ، بعد انتظارٍ الله وحده يعرف كم هو طويل. تطلعت ميغان الى الممر عند انعطافه ، هذا الطريق حول أشجار الفوشيه البلدية ، وذلك الطريق حول محيط التل. الآن هي تعتقدُ بأن الممر ما هو الا نوع من خارطة دارسة في الأرض على مدى سنين أو عقود ولا تقودها الى أي مكان تنوي الذهاب إليه ، لكن تحفظها من الشعور بالضياع وتخبرها بذلك: "إن الناس مثلك كانوا هنا أيضاً". إن راحتها تعني راحة جيرد.

جيرد الآن يصدر صوتا خفيفا في نومه. ميغان تنهض وتذهب للمطبخ لتجلب المكنسة. تكنس أرضية المطبخ ثم تذهب خارجاً لتكنس الشرفات. الكلب يحاول اللعب بالمكنسة ، يثبُ عليها وهي تكنس ويعطس بسبب الغبار. للحظةٍ تسرب ضوء الشمس من خلال فسحة بين السحب ، يتلألئ الضوء في قطيرات الماء على أوراق الأشجار المبعثرة بجانب السياج فتهب مظهراً وارفاً للأرض الرطبة الجرداء. ميغان ترفع وجهها وتتوقف عن الكنس.

*المِلاَطُ: المادة التي تُجعَلُ بين كلِّ لَبِنَتَين أَو آجُرتَين أَو حجرين في البناءِ ، أو تستخدم في طلاءِ الجدران.

*كيرن فينان: صحفية وأديبة أسترالية. تكتب الشعر والقصص القصيرة ، وهي صحفية مؤسسة في جريدة أليس سبرنكز نيوز الأسبوعية. أعمالها الشعرية وقصصها القصيرة نشرت في أOverland، Coastlines, The Canberra Times ، ومجلات ودوريات أخرى.

في الوقت المناسب
ماردیها سمبسون*

كان النهار مشمساً بقسوة مع رياح حارة تهب من الشمال. ما عادت الطيور ترتاد الحديقة الرمضاء كل صباح ، نصف ساعة بعد طلوع الضياء ، وتكون الحرارة قد بلغت خمساً وأربعين درجة.

في ذلك البيت المظلل ، تقشرُ أرينا اليقطينة وتنثر أوراق الريحان الجافة عليها. لقد ملأت علب الماء قبل مطلع الفجر من بئرٍ في نهاية الطريق حيث كان منتزهاً للعامة ذات يوم. استغرق ذلك طويلاً ، كل عام الماء يتدفق وهو أكثر عكرة وسماكة. الليلة الماضية ، إقتضى الأمر أن تقوم بالضخ اليدوي لثلاث ساعات متواصلة لأجل تعبئة وعائين كبيرين بالماء. لقد وضعت إصبعاً على عنق أحدهما ولمست قطرة من الماء ثم لعقتها ، الملوحة كانت أكثر من ذي قبل ، فتغضنت شفتاها بنفور. مصائد الماء التي كانت تعمل في الشتاء الماضي لم تعد تنتجُ أي رطوبة لأن الليالي لم تكن معتدلة البرودة. مسدت أرينا شعرها الطويل برفق حيث بدا فضياً بعد أن كان أسوداً كسواد الببغاء.

يشاهدها مارك ، عرفت بأنه جائع ، لقد أصبح رجلاً الآن ، لكنه لايزال صغيراً ، لم يزدد حجمه مثل أخوتها عندما بلغوا أشدَّهم. لمحت نظرة غضب في عينيه. أضافت الماء الى الخليط وحركته ، والآن هي تتذوقه محاولة أن تقنع نفسها بأنه ذو قيمة غذائية. سكبت ثلثين في طاسة سيراميك خضراء هي

الأخيرة المتبقية من هدية زواجها من زمن بعيد. ومثلها مارك كذلك ولدَ في المركز. كان بإمكانه إكمال تعليمه من خلال شبكة الانترنت بمساعدة جده بعد أن أغلقت المدارس أبوابها. الآن أصبح الأمر جلياً له بأن يرحل ويذهب نحو الجنوب إن أراد مستقبلٍ أفضل. لقد انتظرها. كان صبوراً ، بينما هي كانت قلقة متوجسة فيما إذا كان ذلك علامة على سوء تغذية ، فقد أفرغَ الوعاء قبل ان تبتلعَ هي لقمتين حيث لم يكن هناك المزيد من الطعام. أقترح مارك:

-"لنذهب الى جدي هذه الليلة ؟"

في هذه اللحظة ظنت إنه يفكر بعظاءة مشوية طازجة ، لم تترك أي من العَظاء في المدينة ، فقد أُكلت كلها منذ زمن طويل ، مع ذلك هنالك عظاء حول مكان جيمس ، فمازال والدها يستطيع وبمصيدة أن يصطاد واحدة أو اثنتين في الأسبوع. منذ وقت طويل سيارتها آلت الى مجرد صندوق صدأ مع إطارات ممزقة ملتحقة بالسيارات الأخرى المتروكة منذ أزمة البترول. كان بإمكانهم أخذ الحصان ، فربما يوجد بعض العشب الشجيري هناك. كان عليهم السير ، مر وقت طويل مذ أن ركبت الجواد "أبوني" ، أنه هزيل جداً ، عظامه الآن بارزة كثيراً.

وبينما كان يراقبها بتمعن ، يسألها مارك:

-"هل نذهب ؟"

حدقت وهي تتساءل: هل قصد "الذهاب الى جده" أم فعلا قصد "الرحيل بعيداً ، الذهاب جنوباً ليلتحق بوالده"؟) ليس هناك من سائل في جسمها لتنفقه على الدموع ، الملح المتبقي يلدغ لسانها.

إنها تشعر بحالة حزن دائمة ، حسناً ، على الأقل جيمس لا يزالُ حياً. ينبغي عليها زيارته ، وأن تُذكر نفسها بذلك. لقد تجاوز السبعين ولا يزال ملازماً بيته الواقع على كتلة شجيرات. لقد أحب الريف كثيراً مسخّراً كل مهاراته الغريبة ليتحدى كل مستحيل: في أحد الأيام كان عليه أن يستسلم لحرارة وجفاف البلد ويذهب جنوباً بعد أكثر من خمسين عاماً من الحياة عاشها في الوسط.

كان عمر أرينا ما يقارب الخمسين عاماً ، لقد أحبت الريف بشغف كوالدها ، والآن هي تُبعدُ رغما عنها. إنها تفتقدُ دان كثيراً منذ أن رَحلَ هو أيضاً نحو الجنوب حيث حتم عليه عمله كعالم هيدرولوجيا أن يتبع الماء الذي لم يعد متوفراً هنا. لقد أتى للزيارة وشيئا فشيئاً فقد كان يتوق إليها لتلحق به ، ولكنها قلقة بشأن أبيها ومستقبله إن هي رحلت.

عليها أن تبعث برسالة لدان من مكان جيمس. تحدياً لكل الظروف ورغم كل الخيبات ، كان بإمكان والدها دائما تدبر الأمر وإصلاح إتصالات الانترنت العاطلة وإكتشاف طرق جديدة للتغلب على الصعوبات الحقيقية. كان يمتلك صحون لاقطة معدة لأغراض الطوارئ وموصولة بخطوط الهاتف وشبكة الاتصالات من خلال الأقمار الصناعية المتروكة في المدار ، فقد أتخذ المرح العنيد سبيلاً في تحدي المحتوم والمنافي للعقل.

قالت أرينا:

-"نعم لنذهب. إذا سرنا بثبات سنصل قبل منتصف الليل ، سآخذ قيلولة لأستجمع قواي لما هو قادم".

أجابها مارك وهو يتوسد الأرض ويستلقي ساكناً محدقاً الى السقف:

-"فكرة جيدة"

مشتْ أرينا الى حمام مغلق وبسطت جسمها على أرضية القرميد وسرعان ما غرقت في نوم عميق. إن ضخ الماء أثناء الليل قد أعياها أكثر من المعتاد. قرقرة خفيفة ترقرقت منها فيما بعد ثم انقلبت على معدتها عندما كان مارك يغط في نومه ، وفي عالم الحلم تجد أرينا نفسها بين ذراعي دان.

كان جيمس نائماً ، الشمس في الخارج تضرب بأشعتها على الأرض ، هناك على السطح صفوف من الألواح الشمسية ، ومربعات صغيرة متبقية من أضواء حديقة مهجورة حول البلدة ، البعض من دكان البضائع المستعملة والأخريات الأكبر حجما مقتطعة من هياكل سيارات السباق الشمسية المتروكة على جانب الطريق لسنوات مضت. حديقته ذات السطح الشمسي توهجت ، إنها منسقة في مجاميع ، مئات من لوحات الشحن منتشرة على كل سطح أملس وكذلك على الحافات الناتئة على السطح. إنه يديرها كل يوم بكل صبر وسلاسة. في أي وقت لديه مئة منها تحت الاستعمال للحاسوب والهاتف وضوء الطوارئ والسيارة. اخترع جيمس سيارته الهجينة من بقايا سيارات شمسية قد تُرِكت بعد سباقات طويلة ، إنه يتركها للشحن طوال النهار ويقودها فقط أثناء الليل ، فهو تقريبا مكتفي ذاتياً. والآن خلد للنوم.

ولأنه تقدم في العمر ودرجات الحرارة مرتفعة ، روّضَ جيمس بدنه ليغرق في النوم ، يسبت ثم يستعيد نشاطه ، في حال بلغت درجة الحرارة أكثر من سبع وأربعين. لقد كان ناشطاً في الليل. إنه يستيقظ عندما تنخفض درجة الحرارة

ممتلئاً بالطاقة لأن حياته بعد الظلام تصبح أكثر حيوية. بعد ذلك يتفقد مصائد العظايا. لقد شعر بخفقات قلبه ، ثم وثب هلعاً من نومه ليجد بقعة باردة.

لاحظت أرينا مارك وقد أوثق حقيبتين على ظهر الجواد أبوني وعندما انطلقا عند مغيب الشمس اتبعا قاع النهر الجاف من طرف البلدة نحو مكان جيمس. في الظلام أدركت أرينا ظلالاً معتمة لجمال ناجية. عندها كان الليل هادئاً للغاية.

حتى في النهار كانت الطرقُ هادئة. القطارات والحافلات لم تعد تشكل خطراً على السكك المتشابكة وكذلك الاسفلت الذائب. مع ذلك ينبغي عليك الإصغاء الى قطار ما قد يندفع مصادفة أثناء الليل. لم يعرف أحد من أين قدمت تلك القطارات فهي لم تتوقف في البلدة. قال البعض انها كانت تنقل مخلفات نووية الى أرض كانت صحراء بدائية فيما مضى. مارك كان متيقناً من رؤيته لبنادق محمولة على قمة هياكلها المصفَّحة.

لقد غادرا بقايا طريق القطران المفتت وتوغلا خلال كثبان الرمل الكثيفة في طريق الجنبات. فقد تجاوزا قاع النهر القديم محصنّين بهياكل أشجار الصمغ ، حيث اعتادت الببغاوات ذات الذيول الحمراء أن تجثم عندما كانت تُخيم هناك وهي طفلة. وعندما قطع الهزيم المنخفض من جهة الشمال سلسلة أفكار أرينا تراءى لهما بريق سطح بيت جيمس من خلال الأشجار. نظرَ مارك أليها ، فقالت مندهشة:

-"يبدو وكأنه الرعد الذي يعقبه المطر. السماء لم تمطر منذ زمن طويل" ، مارك لم يدرك كلماتها. الهزيم بات أقرب ، أنها تحسه خلال قدميها المرتعشتين ، وبغتة كان هنالك جيَشانٌ ضخم في الأسفل. تمسكت أرينا بلجام الجواد أبوني

شاعرة بالتيه. وعندما تمايلت الأرض صهل الجواد ثم تهاوى مبتعداً عن أرينا. بعد ذلك عادت الأرض ساكنة هادئة ، إنتصبت أرينا مشتدَّة الساقين محاولة فهم ما حدث. خاطبها مارك قائلاً:

-"أماه ، لقد جرح أبوني."

نظرت أرينا من بعيد لترى الجواد يجثو هنالك وهو يصارع بوهن ويؤرجح ساقيه ولا يستطيع النهوض لذلك قررا أن يتركاه ليستريح فأوثقاه الى شجرة صغيرة.

عندما بلغا شرفة جيمس ، كانت أرينا ترى أباها من خلال النافذة يدعس على دراجة محوَّرة ليولد الطاقة اللازمة لتشغيل التلفاز وبينما كان يشاهدُ نشرة أخبار آخر الليلة ، سمعتْ أرينا حديثاً عن نشوب حروب المياه ولاجئي الكوارث البيئية. عند دخولهما ابتسم جيمس لكنه داوم على مشاهدة الأخبار وبعد انتهاء التقارير المالية عن تجارة المياه رحب بهما. إبتسم مارك ابتسامة عريضة بينما كان جده يقسم عظايتين مجففتين مقرمشتين مع متاع لذيذ طازج مخبأ في علب قديمة محفوظة ، والآن يفتحُ واحدةً ويصبُ عصير الطماطم ، يا لها من مأدبة! لقد أكلوا ببطء وهدوء ، لم يبقوا شيئاً من العصير الأحمر.

سألَ جيمس أرينا بعد أن أخبرهُ مارك بخططه:

-"هل أنت ذاهبة معه صوب الجنوب ؟"

تجيبه أرينا:

-" لست متأكدة."

قالَ جيمس:

-"حسناً السيارة جاهزة للذهاب ، أستطيعُ أن أصحبكما في المرحلة الأولى ،

ستحتاجان الى أماكن مناسبة لتقيما مخيماً كل يوم ، هذا إن عزمتما على بلوغ هدفكما."

أصغى مارك لهُ بحدة ، وأضافَ الجد قائلاً:

-"ليلة الغد سآخذ كما الى كهوف الخفاش. ستشعران بالبرودة فيها وكذلك في الطريق اليها. هيا لنرزم ما يلزمنا من العدة هذه الليلة ، لنسترح ثم ننطلق غداً عند الغروب."

قال مارك ثم خرج:

-"حسناً ، سأذهب لأجلب حقائبي وأتفقدُ أبوني."

الضياء الذي يسبق الفجر أشعلَ السماءَ فأصبحت محمرة من خلف سحب الغبار العائمة. ولمحَ مارك عدة صقور تحوم عالياً ، فقدمَ الى مكان الجواد أبوني وعندها رأى أشكالاً معتمة مقطعة ومتفرقة في الظلال. إنها الكلاب. بعد ذلك صفقت الصقور أجنحتها ثم إبتعدت. لقد هلك الجواد أبوني. تجنب مارك النظر الى بقايا الجلد والعظام المضمَّخة بالدماء ثم قبض على حقائبه ورجع أعقابه.

كل أشياء مارك كانت في حقائبه. أرينا وجيمس رزما عدة التخييم ليضعاها مع الطعام والماء في السيارة ، ثم استرخيا وكانا على وشك أن يناما ، فدخل مارك. سمعته أرينا لكنها لم تسمع صوت حوافر الجواد. تمتم مارك:

-"لقد هلك."

شعرت أرينا بغصة وهي تقول:

-"لكن..."

هزَ مارك رأسه دون حاجة لأن يفصح. أرينا تولي وجهها نحو الجدار: "آه ، لا ". والآن يخلدُ الرجلان للنوم لكنها لم يغمض لها جفن منذ وقت طويل.

عندما استيقظت كان الوقت مساءا. جيمس كان منحنياً على حاسوبه المغبر والسماعات على رأسه ، وسيلة تواصله الأولى مع العالم البعيد والأصدقاء في المناطق المعتدلة هي شبكة الانترنت. كانت أرينا تودُ أن ترسل بريداً الكترونياً لزوجها دان لتشعر بالراحة عند قراءة ما يردها من بريده. أخذت أرينا تمعن النظر الى كتف جيمس في الشاشة لكنه لم يلاحظها ، لقد كان في ملاذ ماء إفتراضي متمرغاً في حمام إفتراضي. اختلط صوت رش الماء في أذنيه بصورة الشلالات والأمواج ، ثم تمطى عندما انقطع الاتصال:

-"أريدُ ان أكتشف بعض الحلول من أجل طعام افتراضي ، هنالك بعض المواقع الممتعة. حالاً ستكتمل العلب..." عندما رأى وجهها توقف قائلاً:

-"حسناً والآن نعود للحقيقة ، أني مستعد للذهاب."

وقفتْ أرينا الى الوراء مرعوبة ، رأسها يدور فتمسك نفسها:

-"لا ، لا ، لدي ما يكفي ، أن ذلك يأتي من رجاحة الرأي. الآن أعرف ما يتوجب فعله ، سأذهب مع مارك نحو الجنوب ، دان ينتظرنا منذ وقت طويل ، يعز عليّ فراقك ، لكن وقت الذهاب قد حان."

إلتقط جيمس مشعله الشمسي وبعض الأشياء ثم إستدار نحوها:

-"أتفهم ذلك ، لا تقلقي بشأني فلدي كل ما أحتاج إليه ، سأعطيك رسالة للمصرف ، أنا هنا في غنى عن نقودي المدخرة هناك ، أنت بحاجة لها."

صاحت أرينا:

-" أبي" ثم عانقته بلطف لأنه أصبح هشاً ضعيفاً بعد ذلك صافحها ثم خرج الى السيارة.

تحركت السيارة ببطء ، إنها لم تكن لتستوعب حمولة كهذه ، مع ذلك فقد سارت. جيمس يراوغ الأخاديد الموجودة على بقايا الطريق السريع.

قالت أرينا:

-"حدث مرة أن إصطحبتني الى الكهوف عندما كنت صغيرة ، مارك لم يأتي بعد ، أنه لا يعرف شيئاً عنها."

نظرَ جيمس الى الطريق وعيناه متكيفتان مع الليل لكن الطريق بدت له مختلفة ، حدق الى النجوم موجها نفسه.

لقد تذكر ثم توجه جنوباً:

- "آه خط السكك القديم! أذن هذا هو الطريق".

تخبطت السيارة الصغيرة بتأنٍ على الأخاديد الرملية بموازاة خط السكك الحديد. وأخيراً لمحَ جيمس الفجوة تحت الخط المنعطف ، واستدار منحدراً الى الجانب الآخر. أصبحت الطريق غامضة شيئاً فشيئاً وعندها تقدم مارك ليعثر على آثار الطريق القديمة.

بعد فترة وجيزة صاح جيمس:

-"ها هم هنا!" ثم توقف مترجلاً وناول مارك وأرينا الحقائب والعدة وقادهما الى مكانٍ بدا كمنخفض في أرض يباب ، وبينما هما يتبعانه رأى مارك المدخل المظلم ، وماهي إلا هنيهة حتى كانوا في الكهوف.

كان الهواء بارداً. كان جيمس يهز المشعل ببطء الى الأعلى ، فظهر السقف

المقوَّس محفوفاً بمئاتٍ من الأجمات الصغيرة البنية الناعمة ، وبعدئذ انعطفوا منطلقين بهياج الى عمق الأرض. يضحكُ جيمس قائلاً:

-"آه ، فطيرة خفاش للفطور!".

لفت أرينا ذراعيها على رأسها.

سألَ مارك:

-"الى أين يقود ذلك ؟ فيجيبه جيمس:

-"إنها كهوف كلسية على ما أذكر رغم إني لم أكتشفها من قبل. لنتفحص ونعرف فيما لو كان الداخل أكثر برودة."

قادهما جيمس الى سلسلة من الأنفاق. لقد اعتادت أعينهم العتمة ، فشرعوا يُعلِمون كل شعب سلكوه بحجر أو بخدش.

عّرجت أرينا قائلة:

-"يمكننا البقاء هنا لفترة ، إن المكان أفضل من البيت."

قال مارك:

-"إني عازم على الرحيل نحو الجنوب يا أمي."

لمح جيمس سلسلة طحالب شاحبة غريبة ، لكنه عندما تقدم خطوة نحوها وإذا بهزيم خفيف يتمدد تحت أقدامهم يتعالى ويقترب شيئاً فشيئا. وقفوا متسمرين هادئين وكانت أقدامهم ترتج. بعد ذلك ساد الهدوء ثانية.

لقد كانوا مرهقين وسرعان ما نصبوا مخيماً على شفا صخرة ناعمة. كان جيمس يصارع النوم بيد أن المكان لم يكن دافئاً حتى خلال النهار. وأخيراً غلبهم النوم جميعاً في عمق الأرض. عندما استيقظوا توجه جيمس بهما نحو

عمق أكثر الى متاهات الأنفاق. لقد بدت الرحلة مثل حلم بلا نهاية. أخذ جيمس يضيء المصباح لبعض الأحيان ليوفر ما به من طاقة. وفي تلك الأثناء رأوا تكوينات صخرية غريبة ورموز من صلصال نقشت على جدران الصخور ، ودوائر مائية وصور أسماك جميلة تضيء في الظلام ، لم يكن لديهم أدنى فكرة عنها ولا حتى إن كان الوقت نهاراً أم ليلاً.

إنسابت أرينا وانحدرت حيث ينعطف النفق ، وما أن ثبتت يداها أدركت إن الأرض كانت رطبة. صاح مارك وأضاء جيمس المصباح ونظرا من حولهما ، الجدران المقوسة التي تعلوهما لمعت بسبب رطوبتها. وعندما تأرجح المصباح ، لمحوا أمامهم سواداً لامعاً لبركة تحت الأرض. تساءل مارك إن كان ذلك وهماً. قامت أرينا بسحب نفسها والزحف على ركبتيها الى أمام. أما جيمس فإستشعر طريقه بحذر شديد ووضع المصباح على صخرة وإضطجع على بطنه ثم سحب نفسه الى حافة المياه فإغترف حفنة من الماء وأمعن النظر. لقد كان الماء صافياً بارداً ، لعقها بلسانه فكان الماء عذباً ، فقال:

-"إنه مكمن مائي عميق ، الماء قديم جداً ، أنه هنا منذ أن كان العالم فتياً مفعماً بالحياة ، في البدء لنشرب قليلاً منه. لتعتاد أجسامنا اليابسة عليه تدريجياً."

بعد ذلك أرينا جعلت وجهها يلامس الماء برفق ، واستشعرت سطحه بشفاه منبسطة ثم ارتشفت قليلاً منه بفمها الجاف فشعرت بالنداوة العذبة ترطب لسانها. وخشية أن تفزع أي مخلوق أو أن تتزحلق في الوحل ، أدارت رأسها وغمرت خديها في الماء وببطء شربت منه كمية أكثر. كان مارك يضحك ويغترف

الماء البارد ويسكبه على رأسه وأكتافه حتى أصبح جلده بارداً. أخذوا يرشون الماء ويضحكون فارتشفوا منه شيئا أكثر. بعد ذلك جلب مارك التمر الجاف والفاكهة فأكلوها مع مشروب آخر قبل شروعهم بالنوم ووضعهم المصباح على مرتفع صخرة.

ثمَّة طقطقةٌ تخترق الأذن كانت قد أيقظتهم وتلتها سلسلة من الدُمدمات كانت تهدر في داخل الكهف. أخذ سطح الصخرة يرتفع ويهتز. سيطرت الفوضى على المكان ، تشبث كل منهم بالآخر في الظلام مستنشقين غباراً لاذعاً. بعد أن تلاشت الهدرات الهيولية ، برز صوت قرقعة الأحجار الهاوية. في تلك اللحظة أمسكُت أرينا أنفاسها وذراع أبيها. هي رفضت فكرة أنهم يمكن أن يدفنوا أحياء.

أخذ جيمس المصباح الى جانبه ، كاد أن يضيئه عندما صاح مارك:

-" أنظر! أنظر!".

هنالك حيث البركة المظلمة الساكنة ، كان الماء يجري ملتوياً مشرقاً فضياً ، ويصب بسرعة ، بيد أن مستوى الماء لم ينخفض. لمح جيمس حركات سريعة للأسماك ، كل شيء قد تغير. الماء تغير من اللون الوردي الى الأزرق متلألئا على السطح. وقفت أرينا مرتعشة على مقربة من الصخور. لقد كانت تلهث. في الاعلى ، هنالك كان سطح الصخرة معتم في الليلة الماضية الان أصبح مشرقاً مضيئاً. كانت أرينا مندهشة فقالت:

-"أبي ، مارك ، أنظرا! ثم صاح مارك:" السماء!".

قال جيمس متمعناً:

-"انشقت الأرض ، لابُد أنه تحول زلزالي كبير ، الطبقات التكتونية* تحركت."

حالما شعروا بالأمن ، سارعوا لرؤية ما حدث فتسلقوا الصخور الى موقع مناسب. حدقوا في دهشة ، كل شيء قد تحول. قال مارك:

-"أنظرا الى السلاسل الجبلية"

هنالك صدع فُتح الى الشمال ، حيث كان بإمكانهم مشاهدة تلألئ المياه الجارية من بعيد ، عندها قالت أرينا:

-"دان سوف لن يصدق ذلك."

أردفَ جيمس قائلاً:

-"ربما إنه نطاق الصدع الطبقي وإن سطح المحيط القديم قد انهار. هذا بدوره غيّر كل شيء."

وعندما ارتفعت الحرارة خلال النهار ، وجدوا صخرةً معلقة عالياً تظلل بركةً. بعد ذلك قام مارك بغزوات في الخارج عائداً بغنائم: الأولى كانت عظاءتين مصعوقتين إثر الصخور الساقطة ، وأخرى تثير الدهشة وهي أرنب مكتنز. اكتشف جيمس شقاً في الصخرة حيث كان هناك ماءاً حاراً يزبد ، فقامت أرينا بطبخ وليمة لهم ، فأكلوا وشربوا وتحمموا ثم ناموا.

استفاقوا عند الغروب. إنه لأمر مهول لم يروه من قبل. بعيداً عبر الريف ثمة ضياء ذهبي يتلألئ على النهر الجاري. بعد ذلك شاهدوا في أعالي السماء الشمالية شيئاً بدا كسحابة متحركة أخذت تدنو أكثر وإذا بها طيورٌ عائدةٌ للوطنِ ثانيةً.

*التكتوني: متعلق بنشوء أديم الأرض.

*ماريديها سمبسون: كاتبة من استراليا الوسطى. حاصلة على ماجستير في تعليم الكبار. أعمالها الشعرية نشرت في بعض دور النشر مثل (Landmark) و(Yellow Moon) و(Over land) و(Ptilotus Press, Living Room). وتكتب ايضاً للصحف الفنية ، وعرضت أعمالها في كانبيرا وأليس سبرنكز وجاكرتا.

تحت الشجرة الدامية*
ميغ موني*

صــوت المســجلة يتناهى إلى إلتــواءات الأشــجار الدامية المشــوبة بغياب النجــوم. للحظة ، أعومُ مع الموســيقى وســط المنعطفات المعتمــة والمثلثات النجميــة. بعد ذلك أطرقُ عائــداً بتفكيري الى الطريق حيث كانت الموســيقى مستمرة لبضع ساعات.

ما إن أقف فيســتطيل ظلي متجاوزاً مشــغل الموســيقى ، أخطو الى الخلف بسرعة ثم أجلس. اسألُ:

-"كم قلت لدينا من البطيخ ؟"

المسجلة مستمرة ثم تتوقف لفترة وجيزة.

بعد ذلك يأتي الرد:

-"ثلاث."

ثم يبدأ تشغيل المسجلة ثانية.

تقولُ متمتمة:

-"ينبغي أن نكون على ما يرام ليومين فيما بعد." بعد ذلك تعاود التشغيل.

يبدو إن رأس ماري لا يتصفح القوائم مثل رأسي ، ها أنذا أتسلق الى ارجوحتي الحمراء الجديدة التي تصدر خشخشة ، أضربها برقة:

-"لم أكن أعرف بأنك تستطيعين تشغيل المسجلة.

-"لقد أصلحتها للتو."

أتذكر ماري وهي ترسم جدارية في البيت حيث تعيش ، إنها رقعة داما مع الصراصير ورموز الجنس والثعابين وجدج دريد*. هنالك وجه شخص أرومي ورأس غول وإبريق شاي.

ثمة زائر' سأل ماري ذات مرة:

-"هل أنت فنانة ؟" عندها قالت بحدة:

-"لا ، لا أظنُ بإنني فنانة! لكني أستطيعُ فعل ذلك."

بينما أرقدُ في ارجوحتي ، ماري اللافنانة تنشرُ الموسيقى من حولي. في الحال تصعد ماري الارجوحة معي ، إنها غير معتادة على ذلك ، فهي لا تملك ارجوحة. أظن إن النوم وحيداً لا معنى له. إن الأروميين (الأبوريجنال) حيث نعيش لا ينامون منعزلين في غرف منفصلة.

أستيقظُ ليلاً وأحسُ بالقمر أمامي بدراً ، عالياً في السماء الغربية. بعد ذلك أغرقُ في أحلامي. فيما بعد أفتحُ عينيّ لأجد صفاً من الأشجار السود مثل الأجمات تقابل السماء الحمراء في الشرق. أشعرُ بجذلٍ مألوف من الرضا عند رؤية الأفق.

لم تكن لدي رغبة للرقود في الفراش وإطلاق العنان للقوائم ، لذلك فإنني أنهض وأهيم الى الغرب. ثمة جنباتٌ متناثرة لأزهار الحوذان الصفراء ، وأرضٌ حمراء موطوءة وماشية الريف دائماً تبدو وكأنها ميتة بالنسبة لي. أستطيع أن أشعر بدفء الشمس المتصاعد على ظهري ، سيكون يوماً حاراً ، لكن لحسن الحظ ليس حاراً جداً.

عند عودتي الى المخيم ، أقومُ بإشعال بعض الورق المنتشر تحت الشجرة الدامية. فجأة تنهض ماري وتغادر الأرجوحة وكلانا يندفع بعجلة مثل دمى عادت للحياة. بمزيد من السحق والدعس كانت بقايا النار التي أفزعتنا قد أخمدتْ. أضعُ الركوة بتأن وأتساءل ما الذي سيفلت من سيطرتي وعندها تقول ماري:

-"بالنسبة لك الأمور تبدو غير مثيرة بما فيه الكفاية."

وبعد كوب ساخن لذيذ يتحول الحديث ثانية الى تلك الطريق ذات الأخاديد التي كانت تراود مخيلتي من قبل ، فأقول:

-"أفترضُ أنه يتوجب علينا الذهاب الى هناك ثانية."

وبقصدٍ نخطو نحو السيارة ونضع ماسكة العجلة في مكان ونستدير لنرفعها بعتلة الإطارات. كلانا يشعرُ بأن الأمر يبدو مضحكاً. فيما بعد تعلمت القفز أعلى وأسفل على ماسكة العجلة ، لكنني جديد ايضاً لأعرف ذلك الآن.

تتساءل ماري:

-"هل تظن أنه بإمكاننا تحريكها إذا جردناها من الإطارات ؟"

أفكر بذلك ثم أجيب:

-"لا أعرف ، أعتقد إن علبة التروس قد اكتظت أو ربما يكون المقود... لا أعرف."

تحت الشجرة الدامية ماري تمشط غابة شعري الكثيف بيديها الطويلتين الناعمتين. إننا نغتسلُ بكريم نيفيا المرّكز الأبيض- إنني أذكر عبيره اللطيف المثير للغثيان منذ طفولتي ورائحة البالغين المنّمقين بإفراط.

وبغية اكتشاف المكان حيث هبطنا ، نتجول حوله بيد إننا لم نبتعد كثيراً ، هنالك سنديان الصحراء الذي يبدو مثل حراس بخوذ زغبية ، والأشجار الدامية

الممتدة هنا هي أشجار ضخمة ، محاطةٌ بحشد أزرق من أشجار المولفا* ، كائنات الصحراء المألوفة ، أدغال معرشة وربما تعيش اليرقات السمينة في جذورها ، ونباتات الغرفيليا* العسلية وسنابل طويلة حلوة قد جفت فآلت الى جيوبٍ قرنية مخرخشة.

أنا فخورُ لأنني أستطيع قراءة هذا الكم من الريف ، أنا فخور كأي طالب متفوق يكتشف قدرته في القراءة ، أرسم سنديان الصحراء ، وجذعاً أجوفا ، أضعُ فوضى من خطوط جميلة على ورقي فتبدو أكثر فوضوية منها على الشجرة.

وحينما تقسمُ ماري ثلثَ فنجان من الشاي لكل منا بعد كل وجبة غداء تقولُ:

-"بعض الأحيان يبدو هذا مثل بيت الأطفال الصغير". قررنا وبطريقة ما إنه يمكننا الحصول على لتر واحد من الماءِ في اليوم.

القوائم في رأسي أخذت تستريح. نستلقي أنا وماري تحت ظل الشجرة الدامية فنتبادل الصمت وبين حين وآخر نطلق تساؤلاً حول تيارات الأفكار التي تراودنا. التلال المستوية في العراء تلحق الشمس ، ثمة أحزمة سميكة من الصخر الأحمر المتوقد بحافاتٍ متصلبة من بقايا الأحجار.

نخرجُ الخارطة مرةً أخرى ، وفجأة تتردُ في مخيلتي قمة جبل إدنا*بارتفاع ٢٥٠٠٠٠ : ١ حسب ورقة القياس الطوبوغرافي ، لقد عشت مع هذه الخارطة لعدة أشهر في مدينة تبعد الآف الأميال ، مقتفياً الأشكال التي فيها في ذلك الممر الضيق الذي تحول الى مكتب استكشاف. والآن أقيم في ذلك الريف محاطاً بتلال اليورانيوم تلك. أسأل ماري:

-"النجدة ، هل هذا هو القدر ؟"

وتجيب هي بنصف ابتسامة:

-"ربما."

أضربها مازحاً فتطبقُ فكها وتضحك ، كأنها تؤدي مسرحية الظل. بعد ذلك نسيرُ خارجاً بمحاذاة طريقنا ، خط ضيق أحمر يتخلل سهلاً كثيفاً ، مثل غيره من الطرق الأخرى من حولنا. نبحثُ بفضول في أوراق وأزهار وضربات وخطوط في الرمال. الشمس عند غروبها تحّول مجموعة متراصة وشائكة من الأعشاب الى وسائد زغبية متناثرة.

الى الخلف تحت الشجرة الدامية في ذلك المساء نتقاسمُ السردين والخبز والبطيخ ، كلانا معتدل وليس هنالك من خلافات. وأثناء حديثنا ، كان ضوء النار الدائم التغيّر يطارد عينيّ.

إنني أحبُ حياة هذه الشجرة الدامية مشاركا بالاستكشافات البسيطة والمهام اليومية. أنا لا اضيع فرصة الذهاب الى أماكن كثيرة ، ورؤية الناس ، وفعل الأشياء. مع ذلك فإن هذه الحياة قد تبدو مختلفة إذا ما اعتقدت إنها دائمة.

أسئلة تظهر في اللهب. ثمة خيارات ، بإمكاننا الرجوع الى الطريق الأقرب أو نتقدم نحو طريق للمشاة — حيث تكون السيارات قليلة في كل يوم. ذلك الطريق يبعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً ، ربما عشرون. بإمكاننا السير ليلاً لكنني أتردد بمغادرة هذا المخيم ، هذا الوطن.

في اليوم التالي نقومُ بتشغيل غاسل الزجاج الأمامي للسيارة والراديتر ، لتر ونصف اللتر من الماء النقي وأربعة لترات من الماء غير النقي (للراديتر). أذن كل ما لدينا هو ثمان لترات. أمامنا أربعة أيام. ماري المختصة بالكيمياء الحيوية

تخبرني إنه كلما يكون أكلك أقل فأنك بالنتيجة لا تحتاج الى كثير من الماء. الآن أنا ظامئ مرهق ومنزعج ، لا أشعر إن ذلك ينطبق علي ، أي أني أستطيع أن أحيا بالقليل من الماء.

نضطجع تحت الشجرة الدامية الى أن تأكل الظلال الطويلة حرارة النهار ، بعد ذلك نواصل السير في طريقنا ، نجلس تحت ظلال سنديان الصحراء الممتدة ونتقاسم الربع الثالث من بطيخة ذلك اليوم.

ما ذلك الضجيج ؟ لا أستطع تخيله رغم سمعي الجيد. نعم ، الآن يظهر خط بنهايات حمراء مع جسم صغير أبيض. أنا وماري نمسك ببعضنا ونقفز للأعلى والأسفل. الشكل الأبيض يتقدم نحونا بسعادة.

تنقذنا شاحنة يوندمو للفضلات حيث كان شاغلوها أكثر من مندهشين بردة فعلنا لوصولهم وكذلك لورطتنا. لكنهم يتمكنون من إصلاح الإطارات وتحريك روابط المحرك. إن ذلك يستغرق عشرين دقيقة لننطلق.

ألقي نظرة أخيرة صوب الشجرة الدامية ، وتتملكني رغبة مضحكة للبقاء. أريد تأجيل الدخول ثانية الى العالم الواقعي ، ذلك الشعور ينتابني أحياناً من على متن الطائرة وهي تسيرُ عبر طريق الإقلاع في الليل. لقد شعرتُ بشيء ما وهو ترددي بشأن الرحيل.

*الشجرة الدامية: تطلق هذه التسمية على أشجار كرومبيا التي يقطر منها سائل أحمر أو برتقالي يشبه الدم عند قطعها. تنمو هذه الأشجار في المناطق الجافة من أستراليا تحديداً حول أليس سبرنكز وكذلك في استراليا الغربية واستراليا الجنوبية. ويوجد منها أنواع مثل كورومبيا أوباكا و كورومبيا ترمينالز.

*جدج دريد: موسيقي إنجليزي ، وهو أول فنان أبيض يؤدي رقصة شعبية سريعة ذات إيقاعات

صاخبة وهي رقصة الرقة التي ظهرت في جامايكا عام ١٩٦٠.

*المولغا: هي شجرة صحراوية صغيرة ذات أوراق فضية موطنها الأصلي هو المناطق الجافة النائية من أستراليا.

* الغريفيليا: نباتات زهرية دائمة الخضرة من أسرة نباتية تتبع فصيلة البيروطية ، موطنها الأصلي هو أستراليا تحديداً في الغابات

*ميغ موني: كاتبة أسترالية ، الكثير من أعمالها تتناول الريف والتجمعات السكانية حول أليس سبرنكز حيث عاشت لمدة تسعة عشر عاماً. أعمالها الشعرية نشرت في مختلف الصحف والأنطولوجيات ومنهاPtilotus, Living Room. حصلت على جائزتين أدبيتين لكتابها الموسوم "من أجل الريف المجدب: كتابة ورسوم من المركز" الذي نشر في دار Ptilotusللطباعة والنشر عام ٢٠٠٥. تعمل حالياً على برنامج تعليمي للعناية بالبيئة للأطفال الأروميين في المجتمعات النائية.

عندما يأتي المد
أليشا بتلر*

تقولُ كاتيا:

-"أريدُ ان أحلقَ الى القمر".

ويسألُ جوناثان:

-"الى القمر؟"

-"نعم الى القمر".

الماء يرتطمُ بالرصيف الحجري برفق. ثمة صيادون ، جلودهم الحمراء قد قرصها البرد. تشمُ كاتيا رائحة السمك المملح والطازج ، القشور الفضية تبدو مثل نثارٍ لماع على الألواح الخشبية. إنها تنظرُ الى الخلف باتجاه الساحل وإلى الكثبان الرملية التي تعلوها غيوم رمادية كئيبة. رحلَ الصيف فالشاطئ خالي تقريباً ، هي تنظرُ الى البرك الصخرية وتتساءل هل يا ترى يوجد فيها نجم البحر لهذا اليوم.

-"لماذا ترومين الذهاب الى القمر؟

-"السبب هو..."

-"وما هو السبب؟ "

-"كل ما في الأمر هو إنني أحب القم".

كاتيا ترمقُ جوناثان في بنطاله الأزرق البالي ، ثم تنظر إلى الماء. إنها تحبُ

القمر لأنه مدور ومضيء وهادئ. هي تعتقدُ بأن القمرَ سحر لأنه يتنفسُ ويراقب كل شيء مثل وجهٍ شاحب ، لكنها لا تخبر جوناثان بذلك. لو أخبرتهُ ذلك فأنه سوف يضحك ويعقدُ أنفه وحاجبيه ، سيظن إنه لشيء سخيف يقال عن القمر. جوناثان لا يؤمنُ بالسحر.

مرةً أخبرَ كاتيا بأن سانتا كلوز لم يكن حقيقة لذلك رمته بحفنتين من الرمل وأخبرته بأنها سوف لن تكلمه ثانيةً.

يقولُ جوناثان:

-"لن تستطيعي الطيران الى القمر بأي حال".

-" من يقول ذلك ؟ الناس وصلوا هناك من قبل."

- "بلى ، لكنهم لم يطيروا ، لقد ذهبوا في صاروخ ، في صاروخ فضاء."

- هكذا إذن ؟ هم مازالوا محلقين."

- "حسناً ، كيف يمكنك الذهاب الى هناك ؟ إنك لا تملكين صاروخ فضاء."

تنظرُ كاتيا الى مناطق الظل من الأرض على الجانب الآخر من الماء. مرةً وعندما نظرتْ بمنظار جدتها بدت لها البيوت مثل نقاط ملونة على الأشجار ، فتقول:

-"ربما لا أحتاجُ الى صاروخ ، ليلة ما ربما أستيقظ وأجدُ بأنني قادرة على الطيران الى هناك."

جوناثان يؤرجحُ ساقيه على حافة الرصيف البحري:

-"لا تكوني غبية. لا تستطيعين الطيران ، إنك لا تملكين أجنحة."

-"إنك لا تحتاج دائماً الى أجنحة كي تطير."

فيقولُ جوناثان:

-"أنت عقلانية ، أنا ذاهب الى البيت."

بعد ذلك وقف ومشى بمحاذاة الرصيف ويداه في جيبيه. ترمي كاتيا بصدفات البحر الى الماء حيث تشاهد المياه الخضراء تبتلعها وهي تغور."

بعد المدرسة تعود كاتيا الى البيت مع جوناثان. جوناثان يضربُ كرة السلة خاصته أثناء مسيرهما ورباط حذاء كاتيا يتراقص على الرصيف.

تتساءلُ كاتيا:

-"هل تريد الذهاب الى الأحواض الصخرية ؟"

يقولُ جوناثان:

-"لا ، اليوم سألعب كرة السلة مع الأولاد!

-"أوه ، ممل"

- "أليس كذلك ؟ على أية حال ، لم أطلب منك اللعب."

تقولُ كاتيا:

-"حسناً ، أنا ذاهبة للشاطئ لوحدي."

كاتيا لا ترى أية سمكة حمراء من أسماك نجم البحر في البرك الصخرية لكنها تجد صدفتين مخروطيتين مبقعتين ، فتجثم وتحركهما بالعصا بحذر. إنهما تبدوان فارغتين ، لكن ينبغي عليها التحقق من ذلك. كاتيا تدركُ بإنك إذا كنت قريباً جداً من صدفةٍ مخروطيةٍ حية فإنها سترسلُ سهماً مسموماً ربما يقتلك. إنها تحركهما ثانيةً ثم تلتقطهما وتحملهما وهما رطبتين على راحة يدها.

يقفُ جوناثان الى جانبها ويقول:

-"احذري ، سيرشقك سهمٌ."

أقدامهم محاطة بحيوانات البطلينوس* التي تبدو كالصخور في شكلها.
تجيبه كاتيا:

-"اعتقدتُ إنك كنت تلعب كرة السلة مع الأولاد."

يرد جوناثان:

-"سيمون لم يتمكن من الحضور فهو يعاني من الربو."

كاتيا لا تجيبه ، إنها تُقلب الصدفات فوق يدها ثم تقربها الى وجهها وتنظر إليها بتمعن. يسألها جوناثان:

-"هل رأيت ثمة سرطان ؟"

-"لا."

-"ماذا عن نجم البحر ؟"

-"لِمَ لا تذهب وتبحث بنفسك ؟"

يجرُ جوناثان قدميه ويقول:

-"لقد كنت ذاهباً لألعبَ كرة السلة ، أنت تعرفين ذلك. لو كان سيمون حاضراً لوجدتني ألعب معهُ الآن. بالتأكيد ذلك أفضل من السير حول الطحالب البحرية الكريهة الرائحة بحثاً عن الأصداف الرطبة الفارغة".

تسير كاتيا مبتعدةً عنه نحو الصخور الزلقة قرب الأمواج. بعض الأحيان أسماك نجم البحر تختبئ هناك تحت الصخور الكبيرة كي لا تقتنصها طيور البحر. المياه الخضراء ذات الرغوة تدورُ كالدوامة في البركة وخارجها ، تنظرُ كاتيا لأسماك نجم البحر لكنها لا تستطيع رؤية شيء بسبب الرغوة والرمل الهائج. الأمواج عالية ورشات البحر قد بللت ذراعيها ، إنها تسمعُ جوناثان يناديها:

-"كاتيا ارجعي ، سيأتي المدُ حالاً."

-"أحبُ هذا المكان."

-" لكن ربما تنزلقي وتسقطي!"

-"وإن كان ذلك ، عندها سأصبحُ حوريةً وأعيشُ في البحر ، أسبحُ ولي قلادة من أصداف البحر واللؤلؤ! "

تشاهد كاتيا جوناثان وهو يقفُ ويداه على جانبيه ، أنفها يرشحُ وتحسُ بشعرها وهو يتجعد من أطرافه كأنه ورق رطب.

ينادي جوناثان:

-" تعالي ، الجو يبرُد."

-"لا."

-"أرجوك كاتيا!"

-"حسناً ، حسناً أيها الجبان!"

إنهما يعودان الى الرمل ، وتجلس كاتيا لترتدي حذاءها وجوربها ثانيةً ، وبينما هما يمشيان يقولُ جوناثان:

-"هنالك رملٌ على مؤخرتك." ، فتمسح كاتيا مؤخرة ثوبها المدرسي.

انبرى جوناثان قائلاً:

-"على أية حال إذا سقطت في البحر فلن تصبحي حورية."

كاتيا:

-" لمَ لا؟"

-"لأنك ستموتين ، تغرقين فقط."

-"كيف لك أن تعرف ؟ أنتَ لم تسقط في البحر من قبل."

-"وأنتِ كذلك."

ويكملان بقية الطريق الى البيت في صمت. قدما كاتيا دافئتان رطبتان في داخل حذاءها ، وحال وصولهما البيت يُخْرِجُ جوناثان حجراً من الجيب الأيسر لبنطاله القصير فيعطيه لكاتيا. إنه مدور ومنبسط ويبدو ناعماً تحت أصابع كاتيا.

ويخبرُ جوناثان كاتيا:

-"لقد بَدا مشرقاً وثابتاً جداً في البركة الصخرية."

-"شكراً."

-"في الحقيقة لم يعجبني لكنني أعرفُ بأنه سيعجبك."

تومئ كاتيا برأسها:

-"أحبه كثيراً."

يبتسمُ جوناثان في سره ثم يتجهم:

- "حسناً."

عند طاولة العشاء ، تضعُ كاتيا الحجر في قدح ماء ثم تركنه الى جانب كوب الحليب ، وتراقبُ أمها بتمعن وهي تلوكُ لقمةً من فطيرة الدجاج. إنها تأكلُ ببطء مثل كاتيا. في بعض الأحيان تظنُ كاتيا إن والدتها قد وِلدَتْ في البحر ، لون عينيها بلون مياه البحر الضحلة وهنالك نمشٌ على أنفها يشبه الرمل. إنها تذهبُ للسباحةِ كلّ صباح ، أسمها جوزفين وعندما تنطقهُ بصوتٍ عال يبدو كهمس البحر الذي يدخل عبر النافذة أثناء الليل.

بعد العشاء تكومُ والدةُ كاتيا الصحون ووالدها يسخنُ الغلاية ليعد الشاي ثم يجلب الى الطاولة إبريق الشاي مع كوبين صينيين لونهما أصفر في صينية من الخشب ، فتذكرهُ جوزفين قائلة:

-ماذا عن الشوكولاتة ؟"

يجيبها قائلاً:

-" بالطبع."

بعد ذلك يدلف الى المطبخ ليعود بصندوق من النعناع لما بعد العشاء.

تغطسُ كاتيا الشوكولاتة بالحليب وتعضها فتشعرُ ببرودة الحليب وهو يسيلُ على ذقنها. والدها يقرعُ كوبه بملعقة الشاي النحيفة أثناء تحريكه للسكر ، وتأخذُ والدتها رشفةً خفيفةً من الشاي وأصابعها تطوقُ يد الكوب مثل سلسلة وتسألُ كاتيا:

-"هل رأيتي جوناثان اليوم بعد المدرسة ؟

فتومئ كاتيا وتقول:

-"لقد كان ذاهباً للعب كرة السلة القديمة والمملة ، أخبرتهُ بأنني ذاهبة الى الشاطئ لكنه تبعني ، إنه لا يحب كرة السلة كثيراً."

ثم إنبرت قائلة وهي تتجهم:

-"إنه مزعج للغاية."

فتجيبها والدتها وهي ترمقُ والدها بابتسامة:

-"تدركين جيداً إن له الحق في أن يأتي بأصدقاء آخرين ايضاً."

تنظرُ كاتيا الى الحجر وهو في قعر القدح وتقول:

-"إنه يحبني أكثر ، بيد أنه يتظاهر بعدم حبه للشاطئ والبرك الصخرية وأسماك نجم البحر ، هو في الحقيقة يحبها أكثر من كرة السلة وكرة القدم."

لم يخض والداها في ذلك الأمر ، لكن أبوها قال:

-"لا تكوني منزعجة جداً عندما يرغب باللعب مع الأولاد. والآن أكملي تناول الحليب وارتدي سروالك وربما تتناولين قطعة من الشوكولا."

عندما يحين وقت النوم تقومُ كاتيا بتنظيف أسنانها وتضعُ القدح الذي يحتوي على الحجر على سطح دُرجٍ خيزراني الى جانب مصباحها. يبدو الحجر في الماء أكبر حجماً وأكثرُ لمعاناً وكأنه قد صُقل بشمع الأرضيات. تسمعُ كاتيا صوت والديها المنخفض في حجرة الجلوس حيث التلفاز يشتغل وأصوات الصحف والأكواب على طاولة القهوة ، فتتسلل الى السرير وتسمع صوت مياه المحيط على الجانب الآخر من الكثبان حيث يبدو كفورة الليمون الخافتة. في فصل الشتاء تكون الأمواج أعلى وعندما يقترب المد فأنه يتجه مباشرة نحو السياج الخشبي الرمادي اللون الذي يقعُ أمام مرآب السيارات. يتغير المحيط من ماء الى فولاذ أزرق بلون الجزء الداخلي من جناح طائر النورس. في فصل الشتاء تكون رائحة طحلب البحر أشد. بعد ليال قاسية تُغطى الرمال بأكوام متراكمة من طحلب البحر وعندما تهب الرياح ، تشمُ كاتيا رائحتها حول البيت ، إنها تستنشق الهواء الآن وهو يندفعُ عبر النافذة المفتوحة لكن ثمة رطوبة خفيفة ومالحة. لم يأت الشتاء بعد ، بيدَ أن الهواء أصبحَ أكثر برودةً والأوراق أخذت تتساقطُ من الأشجار.

إن الطقس باردٌ ليوم السبت والبيوت قد أحاط بها الضباب الأبيض. تسيرُ كاتيا وأمها الى الشاطئ سويةً ، شعرُ أمها الطويل مطوي الى الوراء وبذلك تستطيع أن تغطيه بقبعة السباحة. وبينما تسيران أمام بيت جوناثان تتوقفُ كاتيا قائلة:

-"هل يستطع جوناثان المجيء ؟"

تجيب والدتها:

-"إذا كان في البيت إذهبي وأطرقي الباب إن أحببت."

تسيرُ كاتيا عبر الممر المكسو بالطحالب والنجيل*. نافذة صندوق البريد الصغيرة المربعة الشكل قد كُسرتْ. تشاهدُ كاتيا الظروف وشبكة العنكبوت المنسوجة عبر الزجاج المغطى بالسخام ، فتفتح الباب السلكي وتطرقُ بقوة على الباب الخشبي الذي يليه. لا أحد يجيب فتنتظر بضع دقائق لتطرق الباب مرة ثانية. هذه المرة تسمعُ خطواتٍ بطيئة عندها تفتحُ والدة جوناثان الباب. إنها طويلة القامة ضخمة ، ثمة خطوط بيضاء في شعرها وجلدها تغزوه التجاعيد. تنظرُ كاتيا الى عينيها ، إنهما فاترتين للغاية وقد غادرهما الرونق. تسألها كاتيا:

-"هل بإمكان جوناثان المجيء للشاطئ ؟"

فتقول والدة جوناثان:

-"كاتيا!"

هي تبتسم ابتسامة خفيفة تتبدد ما أن تصل الى طرف شفتيها وتقول:

-"كيف حالك ؟"

تجيبُ كاتيا:

-"إنني بخير ، شكراً لك."

تنظرُ كاتيا الى نبات الجيرانيوم* المزروع في الأصيص الى جانب الباب ثم تشيحُ بنظرها الى الرواق المعتم خلف والدة جوناثان ، إنه مظلم وهادئ على الدوام في بيت جوناثان. يقولُ جوناثان إن والدته لديها نوبة صداع وتحتاج الى راحة حيث ينبغي أن تكون الستائر منسدلة. تسألُ كاتيا مجدداً:

-"هل بإستطاعة جوناثان القدوم للشاطئ ؟"

تهز أمه رأسها ببطء:

-" لا يا عزيزتي ، على ما أظن ليس اليوم"

- "لمَ لا ؟"

وتهز رأسها ثانية:

-"سيساعدني جوناثان لهذا اليوم."

تنظرُ كاتيا الى نبات الجيرانيوم المختنق وتقول:

-"هل سيساعدك في إصلاح الحديقة ؟"

فتقول والدة جوناثان:

-"كلا."

فتنظر الى العشب الطويل الذي يعرش على جوانب الشرفة الى ما وراء كاتيا:

-"أوه ، بلى بلى ، اليوم سيساعدني في البيت." ثم تردف قائلة وبصوتٍ متعب ومنهك:

-"وربما ليوم آخر."

تنتظر والدة كاتيا والمنشفة على كتفها وحين تعود كاتيا عبر الشارع تقول لها متسائلة:

-"سوف لن يأتي جوناثان ؟"

تجيب كاتيا:

-"لا ، والدته لن تدعه يأتي."

وأثناء سيرهما ، تنصتُ كاتيا الى صوت خفها والسحق الهادئ لحذاء والدتها ، فتعاود والدتها السؤال:

-"هل أخبرتك عن السبب ؟"

- "قالت إنه يساعدها ، بيد أنني أظنُ بأنها قد رفضت الأمر ودياً ، لقد كانت متعبة للغاية."

تتجهم والدتها وتقول:

-"لا تقولي شيئاً كهذا. ولمَ هي تفعل ذلك ؟"

تتوقف كاتيا ثم تجيب بهدوء:

-"بالطبع."

فتسألها والدتها:

-"بالطبع ماذا ؟"

إنهما على الشاطئ وجوزفين قد إرتدت قبعة السباحة وطوت قميصها القطني. إنها تحذر كاتيا:

-"لا تذهبي بعيداً جداً بمحاذاة الصخور تلك ، أنها زلقة جداً."

ثم تنزل بهدوء الى الماء وكاتيا تشاهدها والأمواج تبتلعها وتأخذها بعيداً عن الشاطئ.

في يوم الإثنين وبينما هما عائدان من المدرسة الى البيت تسأل كاتيا جوناثان:

-"هل تود الذهاب الى الرصيف البحري ؟"

-" لا."

-"ماذا عن الفنار؟ لم نذهب الى الفنار منذ عصور ، يمكننا تسلق الصخور التي تقع تحته."

-"لا."

ترى كاتيا كرةً رخامية مشطورة في القناة فتلتقطها ، هي تحبُ الكرات الرخامية لأنها تذكرها بالنباتات الصغيرة المدورة والمضيئة ، وهي تستطيع حملها كاملة في يدها. تخبر جوناثان:

-"لدى أبي مئة كرة رخامية منذ صغره ، جمعها وأحتفظَ بها في كيسٍ مخملي أحمر وذات يوم ذهبَ في إجازة فأسقط الكيس وسقطت كل الكرات الرخامية وتدحرجت الى أسفل تلٍ كبير ففقدها جميعها."

ينظر جوناثان الى حذاءه إثناء سيره ، وتسمع كاتيا أنفاسه الناعمة في حنجرته ، فتقول:

-"تخيلْ مئة كرة رخامية ، ربما تدحرجت الى البحر."

يقول جوناثان:

-"وربما بعض الصغار قد التقطوها جميعاً."

يدفع جوناثان يديه الى جيبه وتنظر كاتيا الى الغيوم الكثيفة وهي تتحرك

في السماء وتظن إن السماء ستمطر الليلة. بعض الأحيان يفيض النهر ويأخذُ البحر لون مياه النهر عندما تمطر.

حينما يكون المد منخفضاً تمشي كاتيا ووالدتها كل الطريق حول المنعطف حيث يلتقي النهر مع البحر. تجمعُ كاتيا الحبّار وأصداف قنافذ البحر وتحصي قواربَ الصيد الصغيرة التي تزدحم حول الجسر. تفكرُ كاتيا بشأن والدة جوناثان ، كيف تبدو ، إنها لم تخرج أبداً ، فتسألُ جوناثان:

-"هل سبقَ لك أن أبحرتَ على متن قارب صيد ؟"

-"لا."

-"هل تود أن تعثر على بعض الحبّار ؟"

-"لا ، إن الحبّار نتن."

تضعُ كاتيا ذراعيها على بعضهما وتقول:

-"رأيك لهذا اليوم لم يعجبني."

-" لا يهمني ذلك."

-" جوناثان!"

يقولُ جوناثان وتبدو عيناه معتمتان كغيوم المطر:

-"قلت بأنني لا أهتم."

ترى كاتيا إنه يبدو كالشتاء. وحالما تصلُ كاتيا الى البيت تسألها جوزفين:

-"كيف كانت المدرسة ؟"

فتقولُ كاتيا:

-"إن جوناثان عنب حامض."

تلومها أمها قائلة:

-" لا تقولي ذلك ، وماذا تقصدين ؟"

-" أعني أنه مزعج كالعنب الحامض."

وبينما تأخذُ جوزفين حقيبة كاتيا المدرسية من على كتفها وتضعها أرضاً تقول:

" كاتيا! ، إنه لوقت صعب بالنسبة لجوناثان وعائلته الآن."

-" لماذا ؟"

-" إنه ذلك الوقت من السنة مرة ثانية."

تقول كاتيا وهي مرتبكة:

-" أي وقت من السنة ؟ ، وقت الشتاء ؟ "

تبتسمُ والدتها ثم تتنهد وتقول:

-" لا ، أنها الذكرى السنوية لفقد تيدي."

الناس المتواجدون على الشاطئ هم فقط من راكبي الأمواج ببدلاتهم المطاطية السوداء وثمة رجل يقودُ كلباً. في فصل الصيف الرمل يُغطى بالمناشف والمظلات الكبيرة والكشك مفتوح. وكذلك في فصل الصيف يلعب الناس كرة المضرب على الرمال ، والمراهقون تفوح منهم رائحة كجوز الهند ويقبلون بعضهم البعض والأمواج حول أقدامهم.

تكتبُ كاتيا أسمها على الرمل وتنظرُ الى الرصيف والماء حوله مثل غطاء بارد. إنها لا تتذكر تيدي كل ما تعرفه هو أنه كان مراهقاً وأخاً لجوناثان ويوماً ما قد اختفى. لقد بحثوا عنه في كل مكان حتى في النهر ولكن دون جدوى. لم يعد لدى جوناثان أخ منذ ذلك الحين. ليس لدى كاتيا أخوة أو أخوات لكنها تدركُ

إنه من الغريب أن يكون لك أخاً واحداً ويختفي على حين غرة وكأنه لم يكن موجوداً من الأصل أو كأنه حلم أو طبقة من الضباب على مرآة الحمام.

في اليوم التالي جوناثان لم يكن في المدرسة وكاتيا تريد طرق بابه ثانية بيد إن أمها تقول إنه

من الأفضل ألا تفعل ذلك. تخرجُ كاتيا الحجر من قدح الماء فتصبح يديها مبللة ومضيئة وكأن الحجر يناديها فتلعق كاتيا الحجر ، إن طعمه ملحي كطعم الدموع.

الصيادون على الرصيف البحري يرتدون معاطفهم المطرية وأحذيتهم المطاطية تغطي ركبهم. تنظرُ كاتيا من خلال الفجوات في جوانب السفن وترى الماء وهو يزبد في الأسفل فتتساءل كم ينبغي أن تذهب بعيداً في العمق لكي يصبح الماء هادئاً.

-"ستسقطين في الماء إذا لم تكوني حذرة."

-" لا لن أسقط."

-" ربما تسقطين على الحافة."

-" لا لن أسقط."

تجلسُ كاتيا وتدلي ساقيها على الجانب:

-" أود أن أكون رصيفاً بحرياً يرتطمُ الماء دائماً بساقيّ. سيبدو ذلك جميلاً. ألا تظن ذلك ؟ كل شيء ناعم وبارد."

يهزُ جوناثان رأسه قائلاً:

-"ماذا لو كانت هنالك عواصف رعدية وأمواج مدية وومضات قوية من البرق ؟ عندها سوف لن يكون بمقدورك الهروب ، ستتسمرين في مكانك.

-"لكن ذلك ما تفعله الأرصفة البحرية ، لو كنت رصيفاً فأنك لن تبالي."

يضعُ جوناثان يديه تحت ساقيه ليبقيهما دافئتين:

-"سأكون."

فتسأله كاتيا فجأة:

-"هل حدث أن تبعتك فراشات ؟"

-" لا."

-" تتبعني الفراشات بعض الأحيان وترفرفُ حول وجهي. أظنُ أنني كنت فراشة في حياتي الماضية. أحياناً أظنُ أن الفراشات سحرية."

يقولُ جوناثان:

-"نعم ، هذا صحيح."

تتجهم كاتيا فتقول:

-"حسناً ، كيف لك أن تعرف إن كانت سحرية أو لا؟"

-" لم أرَ واحدة تفعلُ شيئاً سحرياً من قبل!"

-"لا تقل إنها لا تفعل أشياء سحرية. أنت فقط لا تعرف عنها."

-"عن الفراشات السحرية ؟"

-"عن السحر الذي تفعله الفراشات. تماماً أمام أنفك السخيف القديم."

ينظر جوناثان الى الماء وتتساءل كاتيا إذا ما كان يعتقد بأن تيدي في مكان ما هناك. غالباً ما تخبره إنها ستكون بخير إذا كان تيدي في البحر ذلك لأن نجم البحر والحوريات والقلائد اللؤلؤية وحتى سرطانات الطين الخجولة كلها ستعيره اهتماماً ، لكن جوناثان لا يؤمن بما تقوله. تشاهدُ كاتيا سفينةً بضائع

وهي تتحركُ ببطء من إحدى نهايتي الأفق قبل أن تستدر نحو المقدمة عند الفنار. يبدأ السديم وكاتيا تشعر بالسعادة عندما ترى الفنار يرسلُ شعاعه الأصفر بعيداً ، فترتجفُ كاتيا وتسحبُ يديها الى قعر أكمام قميصها.

يقولُ جوناثان:

-"كاتيا ؟"

-"ماذا ؟"

-"هل تودين الذهاب الى البرك الصخرية ، قبل حلول الظلام ؟"

فتقول كاتيا:

-"هذا إذا لم تتذمر من الطحالب البحرية".

*البطلينوس: حيوان من الرخويات يلتصقُ بالصخور.

*النجيل: نبات عشبي متطفل ومعمر يعيشُ طويلاً ويتواجد طيلة فصول السنة ، ينمو في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية.

*الجيرانيوم: نبات يتبع الفصيلة الغرنوقية ، يُعرف على نحو شائع باسم نبات إبرة الراعي ، يزهر طوال العام في الأماكن المشمسة والظليلة. له العديد من الألوان الأحمر والأبيض والزهري والأزرق.

*أليشا بتلر: كاتبة مستقلة وباحثة تعيش في بيرث. تمارس الكتابة الإبداعية وقصصها القصيرة نُشرت في صحف أدبية أسترالية عديدة مثل Vivid and Page Seventeen، Southerly، Lipوكذلك لها مساهمات في مجلات مثل Art at Australia Perth Now,، Arts Hub.

قرب بحر الآرال
باتريك هولاند

كانت اجازتي الصيفية حيث غادرت الجامعة في بكين واتخذت سكة حديد ترانسسيبيريان عبر الصين الغربية وثم سلسلة من سيارات نقل الركاب تصل الى بحر الآرال. المياه انسحبت مئتي كيلو متر عن المدينة الساحلية التي يقصدها الباص. سفن كبيرة تستقر في القنوات الرملية التي جرتها اليها قبل أن تغادرها المياه. جمال بيضاء تسير قرب هياكل السفن الصدأة. المدينة ذات الأرصفة والأحواض الخرسانية تجلس في وسط صحراء عاصفة. لا أتذكر اسم المدينة ، لقد دونته في دفتر ملاحظات نسيته في قطار روسي. سرت من باب الى آخر أعرض النقود الى أن استقبلني أحدهم وهو رجل يبلغ الأربعين ذو عيون خضراء عنيفة بوجه ذي سحنة سمراء من آسيا الوسطى. نسيت اسمه ، سأدعوه أدربيرزن ، إنه اسم مألوف في ذلك البلد. البيت مبني من الخشب والألواح الجدارية مزينة بالرقش العربي بألوان زرقاء وحمراء وخضراء رائعة ، كذلك هنالك فناء ريفي يأوي بقرة هزيلة.

أخبرتُ الرجل كم يبدو بيته جميلا في نظري ، لكنه أومأ بالرفض وكأن الأمر إهانة له. ومثل كل القرويين في آسيا الوسطى ، أدربيرزن رغب بشقة في بناية سوفيتية رديئة في عاصمة كئيبة.

أما زوجته فقد توفيت منذ خمس سنوات ، ابنته المراهقة قدمت لنا الشاي ،

ثم غنت وعزفت على آلة موسيقية بدت مثل عود طويل بثلاثة أوتار وحجيرة صوت صغيرة كالدمعة المنسكبة. لقد كتبت اسم الآلة الموسيقية في نفس دفتر الملاحظات الذي سافر معي قابعا تحت المقاعد عبر مدن متشابهة وأراض منسية بين بكين وسيبيريا.

عندما سألتها عن الآلة ، قالت مرجان:

-»انها آلة بدوية ، ترجع الى ألف سنة مضت «.

ردّ والدها مصححا:

-»ألفي سنة".

طبعا تحدثنا باللغة الروسية لغتها الثانية ، فقد تلقيت دروسي الأولى على متن القطار من خلال كتاب كلمات. لذلك المحادثة كانت سهلة.

عزفت مرجان على الآلة وغنت ، لم أسمع قط أغنية كهذه. أغنيتها بدت غريبة وقديمة جدا كرعاة يقودون قطعان صغيرة قريبا من هنا من غير كلأ يُرى أو ماء عذب ، حزينة جدا كبحر تلاشى وريح سامة. تفاجأتُ حينما وضعت الآلة الموسيقية في غرفتها ، فقد رأيت ملصقا لمغني بوب أمريكي مثبت على الجدار.

إنبرى أدربيرزن قائلاً:

-"ما زالت المياه تتراجع".

لقد أخبرني بأن المياه ذهبت بعيدا بعيداً ، كانت هنالك أيام يندفع فيها السمك الى الشاطئ ثم يقوم الصيادون أمثاله بجرفه فيذهب ، الكثير منه الى المعامل. أما الآن فلا يوجد الكثير وقد أغلقت أكثر المعامل. كذلك أخبرني كيف أن نهري أبيداري وسيداري يرفدان بحر الآرال عندما تذوب ثلوج الهملايا ،

"لكن اليوم كل ما تبقى هو الأملاح والمبيدات" هذه الكلمة الأخيرة وجدها لي في قاموسي.

تنهد بألم وقال:

-"اللوم يقع على حكم الاتحاد السوفيتي ، على القطن. فقد استحوذوا على كل مزرعة أو بستان أو حديقة. إذا لم تزرع القطن يقتادوك الى السجن. الآن كل الآليات التي تحفر قنوات الإرواء مهملة هناك حيث تصدأ مع الأشياء الأخرى. وقال: "أنه الآن يصطاد في بحيرة كوكسي بدلا من بحر الآرال ، لكن الصيد غير وفير".

غداً سيأخذني ، استلقينا على حصير من الوبر على أرضية من الخشب ، فقال أدربيرزن:

-بحيرة كوكسي جميلة ، إنها مرآة صافية للسماء. كذلك مرجان تصطاد معنا.

سألت أدربيرزن إن كانت ابنته ترافقه ، فأجاب:

-" في أغلب الأحيان

لقد قضت اليوم وهي تضحك بود على محاولاتي لرمي شباك أبيها والوصول اليها ، هي غالبا متعاونة. راقبت عملها ، واعتقدت أن أدربيرزن لم يخسر شيئا لأنه لم ينجب صبياً. بعد ذلك أدركت انني لم أرَ الا شباب قليلين في المنطقة.

رداً على ملاحظتي أجاب أدربيرزن بإيماءة رأس وقال:

-"غادر الكثير منهم الى المدن ، والكثير التحق بالجيش والبعض مرضى بسبب العمل في البحر".

أخبرني بأن مرجان هي ابنة السابعة عشر ربيعا ، لكن بدا لي انها بالكاد في الخامسة عشر من عمرها. الحياة في آسيا الوسطى قاسية على فتيات العشرين

فلهن بشرة محترقة لكنها جميلة تجعلهن يبدون أكبر من أعمارهن بعشر سنوات. لم أعرف السبب وراء كذب الرجل.

في اليوم التالي ذهبنا في سيارة صدأة يمتلكها ادربيرزن وأخوه. ذهبنا الى قرية حيث لم يتراجع البحر ، لزيارة عائلة امه. رغم أن المياه متسممة لكن لم يسبق لي أن رأيت كتلة مياه جميله بشكل غير مألوف. متغيرة اللون طوال النهار والليل ، في الصباح أزرق بلوري ، وأخضر متألق عند الغسق ، وفيروزي عند الشفق.

عند غروب الشمس سرنا أنا ومرجان الى جانب الشاطئ. وفي الصباح باكراً أخذني والدها جانباً بعد أن لاحظ استمتاعنا برفقة بعضنا ، فقال:

-"ابنتي لك ، إن كنت تحافظ عليها ، تزوج منها ، خذها الى وطنك!"

أخبرته بأن ذلك مستحيل ، بالتأكيد مستحيل ، كنت في السابعة والعشرين من عمري في حين لا يتجاوز عمرها الخامسة عشر. ليس لديها شهادة ميلاد أو حتى جواز سفر على الأقل ، أنها لا تجيد التحدث بالإنجليزية. فأجاب أبوها:

-"إنها عطوفة وتجيد الأعمال اليدوية وتستطيع السير لأميال في اليوم الواحد ، إنها ورعة وتستطيع اصطياد السمك وتحضر شاياً ممتازا وتجيد الغناء".

تنهدت ولم أخبره أن أية واحدة من هذه المهارات ليست لها قيمة في مدينتي الأم ، المكان الذي ينسج الناس أحلاماً عنه. لقد كانت واحدة من المناسبات النادرة التي عندها تمنيت أن يكون وطني ليس بوطني. تمنيت أن أكون مواطنا من مكان آخر ما ، مكان أبسط ، حتى لو كنت هنا وسط كل هذه المأساة.

سرت مع مرجان بجانب الشاطئ المفروش بالحصى. الماء الأزرق يرتطم

قريبا من أقدامنا. شعرها الأسود ملفوف بوشاح أحمر ، إنها تدندن كأنها تغني أغنية شعبية طاجيكية. كانت سعيدة ، ربما كانت تحلم بأنها زوجتي ، أنا كنت أحلم بهذا. تطلعت إلي وابتسمت ، وكانت عيناها تتلألأن من وراء الوشاح الأحمر. وفي الحال تخيلت بأنها كانت في مكتب الضمان الاجتماعي في برزبن ترتدي بذلة عمل نسائية زهيدة الثمن ، وتملأ وثيقة طلب أعانة مالية وثمّة نظرة شك متعالية نحوها من قبل الموظف الجالس وراء المكتب. كلا ، اعتقدت أنني سوف لن اخذها بعيدا من هنا وإن كان الأمر سهلا مثل ركوب قارب.

نظرت الى قدميها العاريتين ، طرف ثوبها كان مبللا وملتفا حول ساقيها. لمع الخلخال تحت ضوء القمر ، يومها أخبرتني أنه يعود الى جدتها الكبرى. لجمت نفسي عن ابداء دهشة بلهاء وهي أن الخلخال ما زال موضة دارجة. نظرت الى عينيها الداكنتين ثم استدرت الى المياه المتلاشية للأبد.

سألتني:

-"لماذا أنت حزين ؟"

-"من أجل البحر ، من أجل الذي ذهب بعيدا ولم يعد".

- "نعم ، أنه لأمر محزن للغاية".

في اليوم التالي غادرت الى طشقند.

*باتريك هولاند: كاتب استرالي من برزبن ، اختص في اللغات والجغرافية والخيل. يكتب القصص القصيرة عن الخرائط والأشياء المفقودة بأساليب قديمة. أعماله ظهرت في استراليا وايرلندا والولايات الأمريكية المتحدة. وقد تم نشر هذه القصة في مجلة « Wet InK» الأسترالية عام ٢٠٠٨

سيستا
ليني شلتون

الطريق الى المركز الطبي مثل شريط رملي أحمر. يمتد بمساره بين العشب الشوكي من بيتي أعلى التل الى البناية المؤقتة التي كانت هناك لأكثر من عشرة أعوام. بانتظاري تجلس دورين على درجة السلم وتقول لي:

-«لقد تأخرتي».

أجيبها بابتسامة ضجرة:

-«آسفة ، طفلي يبكي طوال الليل ولم أنم جيداً».

تنهض دورين وتمط ظهرها:

-«كيف ستتدبرين الأمر مع الطفل عند تواجدك في العمل ؟».

-«أمي متواجدة لتعتني بالصغار ، هي ستساعدني».

أثناء سيرها الى المركز الطبي تجيب دورين وتنهي الحديث قائلة:

-«كلا».

ثمَّة وادٍ عريض يمتد أسفل التل. العشب الشوكي الأصفر يدركُ شمس الصباح الباكر فيضيء كالذهب. الطرق الرملية تتقاطع بشكل فوضوي من خلال العناقيد العشبية الكثيفة التي تؤدي الى مجموعة من البيوت المنتشرة. بالنسبة لمعظم الناس يطلع النهار للتو. خيوط الدخان البيضاء والضعيفة تتلوى متصاعدة من نار المخيم وهي تعلن عن وقت الافطار. تنبعث الأحاديث

عبر التل الى المركز الطبي. الناس يصيحون على الكلاب. المطر الذي نزل مؤخرا يجعل التلال مخضرّة اذ تبرز مزدهرة مقارنة مع المراعي الجديبة الوسخة المواجهة لها.

المركز الطبي عبارة عن غرفة طويلة ضيقة ، تحتوي على نقالة في طرف ومخزن على الطرف الآخر ، وحيث يكون المولد جاهزاً يبقى مكيف الهواء مشتغلا في المخزن على مدار أربع وعشرين ساعة في اليوم لحفظ الأدوية من أن تفسد خلال فصل الصيف الصحراوي. أما بقية غرفة المركز الصحي فتصبح حارة خانقة في الساعة التاسعة صباحا. دورين منشغلة في ترتيب عربة الضماد وقص قطع من الشريط اللاصق بطول انش واحد واعادة تعبئة قنينة السَفلون بماء الصنبور المركّز. وحينما تقع عيني على حجارة اسمنتية تستند على زاوية عربة معدنية صدأة ، أفكر بابتسامة:

-إن طقس التحضير الصباحي ذاته يحدث في المراكز الطبية في جميع أنحاء البلد. ما عدا فرق واحد أو اثنين.

هذا التحضير هو بسبب الازدحام الذي سيبدأ في الساعة العاشرة أو عندما تحتاج البيوت النائية هناك الى العون. ويبدو إننا نبقى منشغلين خلال النهار بمعاينة الأمراض البسيطة مثل الجرب المعدي ، البثور الجروح ، الصداع. وفي اثناء الليل يبدأ العمل الجاد.

في الليلتين الماضيتين ، أقلتني دورين لأحضر حادثة طعن ، أي منا لا تحبذ الذهاب بمفردها. وأخيراً بعد أن نهضت من النوم وكان قلبي يخفق بقوة ، أخبرتني دورين على الهاتف:

-«غوغاء مخمورون ، شخص هائج يتشاجر».

جلستُ في ذهول وأنا أمسك عدة الطوارئ بينما تقود دورين التويوتا في الظلام الحبري ، المصابيح الأمامية تلقي أضواءها الصفراء الخافتة على الطريق الرملي. ليس لدي أدنى فكرة الى أين نحن متوجهتان- كوخ يبدو كحانة ، قالت دورين:

-«الله يعرف أين. سمعت بأن فرانسيس عاد الى المقاطعة بعد خروجه من السجن ، فقد قتل زوجته بالفأس في شجار سكر. لقد كان في السجن لمدة أربعة أعوام. ربما كان يحتفل بتلك المناسبة».

أوقفت دورين التويوتا. المصابيح الأمامية أضاءت على مشهد من أوعية كولبياه* منتشرة على الارض ، ثمّة نفايات ، ودخان نار ، وأكوام من كسوة الفراش. كل شيء يبدو هادئاً تماما الى أن عثرت دورين على شخص نائم تحت البطانيات. صاحت دورين:

- «انهضْ ، استيقظْ!»

كنت مندهشة لأن المرأة لا تزال نائمة. تساءلتُ أين كان الآخرون. لمجرد تحديقي في الظلام الذي يطوق المخيم خارج غطاء المصابيح الأمامية للسيارة ، بدأت أشعر بالقلق حيال بقاءنا في العراء وثمة شخص مجنون حولنا. قالت دورين:

-«انها مخمورة ، إنها ماري ، زوجة فرانسيس الأخرى. آه ، هناك بقعة كبيرة من الدم! فلنسحبها»

رفعناها وسحبناها لنضعها في مؤخرة التويوتا. على ضوء المشعل وجدتُ جرحاً عميقاً في رأسها. بينما كانت دورين تقود السيارة بسرعة نحو المركز

الطبي ، حاولت أن أوقف النزيف. بعد أن نظفنا الجرح وقطبناه ، استيقظت ماري وصرخت:

-«انتما عاهرتان عفريتتان» أريد أن أنام».

بعد ذلك تركناها لتذهب. وعندما اندلع الفجر مع إنبثاق ضياء برتقالي قريب فوق التلال الشرقية ، شقت ماري طريقا متمايلا تتخلله النفايات والعشب الشوكي الى منزل السيدة ويلر. ذهبت الى البيت كي أستريح لبضع ساعات لكن لم أستطع النوم أبداً بسبب التفكير في جرح ماري الذي كانت يحتاج نصف ساعة من الوقت لكي يتوقف.

بعد ذلك اليوم وعندما قمنا بزيارتها ، كانت ماري تجلس بجانب صمام موقد الطبخ ، قمت أنا بمعاينة الجرح ، ليس سيئًا قطب الجرح في منتصف الليل.

سألتُ ماري وبمحاولة لأنطق بعض الكلمات بلغتها:

-«Kata pika?" والتي تعني "هل ثمة صداع في رأسك ؟".

شاحت ماري بعينيها محدقة على صمام الموقد ثم أجابت:

-"Wiya, kata palya كلا ، رأسي على ما يرام".

سألتُها ثانية:

-"من فعل ذلك بك يا ماري ؟".

تطايرت الاشاعات التي تقول انه لم يكن فرانسيس بل كان شجار غيرة بين ماري وعمتها سونيا. أجابت ماري وهي تهز كتفيها:

-"لا أعرف".

-"هل ترغبين بالتحدث الى الشرطة ؟"

Wiya»" ، كلا".

تحركت ماري فكان ظهرها باتجاهي ، بعد ذلك اعتدلت قامتها فسألتها:

-"هل تستطيعين المجيء الى المركز الطبي غداً من أجل فحص رأسك ؟".

تمتمت ماري:

-"نعم ، يجب أن أذهب!"

عندما رجعت الى التويوتا ، عبست دورين بوجهي وقالت:

-"ما كان ينبغي أن تسالي كل هذه الاسئلة ، أنها أمور عائلية".

-"لقد أُبلغت بذلك".

من المتوقع مجيء ماري اليوم. دورين تستطيع التحدث اليها ، يبدو انها لا تود التحدث إلي. تعمل دورين في مجال الصحة لعدة أعوام. إنها تعرف كل شخص وكل شيء يدور هنا ، إنها تتقن قطب الجرح مثل الجّراح. أخبرتني بأن أكتب في المخططات لأنها تعتقد بأنها حتى بعد كل سنوات العمل تلك ما تزال لا تتقن الكتابة. لا تعرف ما هي الكلمات التي تكتبها.

لقد رأت عدداً لا يحصى من الممرضات يأتين ويذهبن من هذا المكان. أنا لحد الآن بديلة ، أنا هنا فقط عندما تكون الممرضة الأخرى في عطلة ، فقط لمدة شهرين. أحتاج أن أكون هنا لسنوات كي أفهم حقا ما يجري. كل يوم أشعر إنني أجد طريقي أكثر بقليل وببطء. فيما بعد ثمة شيء قد يحدث مثل المراقبة ولفظ اسم شخص متوفى. كان كل من في الغرفة منغلقا على نفسه مثل المحار ، وذلك يجعلني أشعر كأنني معتوهة تماماً. كانت النساء الكبيرات اللائي يفترشن الأرض خارج المركز الصحي ينفخن أفواههن بالضحك عندما

ألفظ كلمة بطريقة خاطئة ، بعد ذلك نضحك جميعاً حتى تنهمر دموعنا على وجوهنا. وعندما نستطيع التحدث مرة أخرى ، السيدات المسنات كنَ يخبرنني بأنهن سوف يعلمنني كيف أتكلم اللغة بالطريقة الصحيحة.

بقيت هنا لمدة يومين فقط وكنتُ أشعر بالضياع في العيادة لذلك فكرت في بعض التنظيفات. المكان فعلا بحاجة لذلك- ثمة غبار أحمر ، وشبكة عنكبوت ، والمعدات في غير أماكنها. نظفت ورتبت حتى تذكرت أنني لم أرَ دورين منذ فترة. في وقت الغداء ، ذهبت وبحثت فوجدتها في المخزن.

صحت من نافذة التويوتا:

-"يا دورين".

يبدو أن دورين لم تسمعني. رائحة الدجاج المطبوخ تتسرب من المخزن ، وكل الحشد في الخارج يشرع بتناول الغداء- الصغار ، الكلاب ، والقطط. رائحة الزيت الزنخ جعلتني أشعر بالغثيان.

خلف علب لحم البقر ، وجدتُ دورين تبحث في كوم من الملابس المستعملة الذي وصل للتو بالبريد الجوي من فينيس في المدينة.

قالت دورين ضاحكة وهي تمسك ببنطال جينز قصير جدا:

-" يا شارون ، هذه ستبدو مناسبة لك. لا أظنها تناسبني. هل ستعودين للمركز الطبي اليوم ؟"

تلاشت ابتسامتها ، وقالت مؤكدة أكثر منها متسائلة:

-"هل أنهيت التنظيف ؟"

بعد ذلك نظرت اليَّ مباشرة وهزت كتفيها وعادت الى كيس الملابس قائلة:

-"فريقك دائما ينظف كل شيء لذلك بقيت بعيدة".

تسرب الصباح بسرعة الى المركز الطبي ، أنا ودورين نعمل جنبا الى جنب على الضماد وإعطاء علاج الصداع. نعطي لكل مريض حبتي باندول فقط لكي نوفر التجهيزات الى حين وصول طائرة البريد القادم. عندما أخذ تدفق الناس يتباطأ نادت دورين:

-"كوب من الشاي".

جلسنا سوية على سلم العيادة لنشرب شاياً مركّزا أبيضا حلو المذاق ، ونفخات الهواء الباردة الآتية من مكيف الهواء تهب من أمامنا. قالت دورين:

-"مستنشقو البترول أولئك عاودوا وقاحتهم مرة ثانية" ، لقد تسللوا الى المخزن الليلة الماضية. أخذوا كمية كبيرة من الطعام".

-" كيف تمكنوا من الدخول ؟"

-"من خلال السطح. عندما يشعرون بالجوع يفعلون كل ما بوسعهم."

أدرك أني ما زلت أشعر بالتوتر حيال مستنشقي البترول.

بعد يومين من وصولي ، مضيت الى الجانب الآخر من التلال ، حيث يستوطن القليل من الناس لأفتح مركزاً طبياً هناك. وبينما كنت أنظف ببطء ، اندفعت امرأتان:

-"سيستا ، سيستا. اقفلي الباب ، أحدهم جاء مسرعاً ، مستنشق البترول قادم! إنه مجنون!".

عندما نظرت اليه رأيت رجلاً يحمل قضيبا فولاذياً. لم أكن بحاجة لتشجيع

أكثر من ذلك. ضربت الباب بقوة وأقفلته. يداي كانت ترتجفان ، شعرت وكأنني مريضة. تساءلت:

-"ماذا عن الأشخاص في الخارج ؟".

-" سيستا ، لا داعي للقلق بشأنهم ، إنهم يألفونه. ذلك هو ريموند ، عندما يستنشق البترول فانه يصبح غاضبا على الأشخاص البيض".

ريموند يستنشق البترول مذ كان طفلاً والآن يبلغ من العمر أربع وعشرين عاما. لقد أتهم بالسطو ثم أرسل الى السجن ، ليقلع عن البترول ويدرس أثناء مكوثه هناك. عاد بعد ذلك قويا رشيقا لإتباعه وجبات غذائية منتظمة وممارسته لحمل الأثقال. لكنه بعد ذلك عاد الى استنشاق البترول. يمكن أن يكون دنيئاً جدا ، أو قائد عصابة معدمة يتسكع في منزل مهجور قرب محطة الطاقة.

سألتُ النسوة اللائي ظهرن مسترخيات:

-"كم مضى من الوقت ونحن ننتظر هنا ؟".

للمركز الطبي نوافذ من البرسبكس* كانت مخربشة جداً حيث لا نتمكن من رؤية ما يجري في الخارج.

-"سيستا لا تقلقي ، سيذهب في الحال".

بعد مضي ساعة جازفنا للخروج. قالت النسوة بأنهن سيخرجن أولاً وذلك لأن ريموند يعرفهن. قلن:

-" بسرعة! انصرفي الى البيت بسرعة. لا تعودي هذا اليوم ، غدا سيكون بحال أفضل".

لست بحاجة لأعرف مرتين ، خرجت من هناك ، نزلت من التويوتا لأستعيد

حيويتي ، ما أن اعتقدت إنني بخير حتى رأيته يسير في وسط الطريق متوجها نحوي ، القضيب الفولاذي بيده. استدرت الى اليمين وانطلقت نحو الطريق المؤدي الى التجمع الرئيسي. كنت أجتذب انفاسي بصعوبة وأرتجف وأحاول إبقاء السيارة على الطريق.

في اليوم التالي ، أخبرتني دورين إن ريموند يفعل ذلك مع الوافدين الجدد. سألتها:

-"هل ذلك نوع من الاختبار ؟"

فأجابت دورين:

-" نعم ، أنه لن يؤذي أي أحد".

عندما عدت لتناول الغداء في بيت له سقوف من الكولوربوند* ، كانت الحرارة قد تجاوزت الأربعين درجة. جلبت أمي الغلاية ووضعتها على الطاولة. تهافت الأطفال ليرحبوا بي ، مسرورين من أجل التسلية. إنه يوم طويل وحار بالنسبة لهم حيث مكثوا في داخل البيت حتى جاء نسيم المساء البارد. تساءلت لأنني تواقة لأن يكون الجميع بخير:

-" كيف تجري الأمور ؟".

-"حسنا ، لقد نام دانيال ، وأنجز توم بعض اللوحات ومارس كتاباته".

احتجُ ضاحكة:

-"أمي ، إن عمره ثلاثة أعوام فقط".

-"يبدو إنه يستمتع بذلك. ولقد جمعنا البيض وأطعمنا الدجاج ، وسقينا الحديقة وطبخنا بعض القشدة".

-"آه ، أنت منظمة".

-"ينبغي أن أبقى مشغولة ، أنه فقط كيف أرغب أن اتصرف حيال الأمور. كيف هو العمل ؟"

طفلي الصغير دانيال يتسلق الى حضني ليبحث عن صدري.

-"أظن أنه حسن. لكن لا يزال جديداً ومختلفاً ، أشعر وكأنني تائهة ، أجعل مني بلهاء ، لا أعرف أي أحد ، ولا أستطيع إيجاد جداولهم برغم معرفتي لأسمائهم ، لذلك هنالك تحدي لمعرفة ما هي علل أولئك الناس. دورين المسكينة ، لقد سألتها مليون مرة هذا الصباح".

قالت أمي مبررة وهي تصب الماء في ابريق الشاي:

-" إنها الأيام الأولى".

الأسبوع الماضي ، استيقظت في الساعة الثالثة صباحا لأرى العجوز جورج مارجيا. كان يجلسُ الى جانب نار مخيمه الصغير ، ظهره يستند مباشرة الى شجيرة. من حوله عائلته ينامون في مجموعة من الأراجيح والأسِّرة ذات الأطر المعدنية. عندما إقتربت ، استيقظت الكلاب ، ثم اندفعتْ تنبحُ صوبي. قليل من الحجارة المصوبة جيدا نحوها من قبل جورج العجوز جعلتها تبتعد وهي تنبح في الظلام. العائلة تغط في نومها ما عدا حفيدة جورج الصغرى التي قدمت لتستقبلني. بينما كنت أقف الى جانب دائرة ضوء النار الخافت ، قلت متلعثمة وقلبي يدق:

-"شكرا جورج ، هل أنت على ما يرام ؟"

لقد بدا شاحبا في الضوء الخافت ، كانت أنفاسه سريعة ضحلة ، وصدره يقعقع ، من خلال مشاهدتي له أرى انه بحاجة للأوكسجين.

لاحقا وعندما فكرت في الأمر ما زلت لا أتذكر كيف نقلناه الى المركز الطبي أنا وليلي. بقية العائلة لا زالوا يغطون في عالم النوم. حتى الكلاب ، التي كانت في بادئ الأمر مسعورة بشكل مخيف ، زحفت من الظلام لتنام في الأراجيح الدافئة ، ولم تتحرك ولو بمقدار ضئيل بينما كنا نسعى ونتمايل لنقل جورج الى السيارة.

جلسنا سوية نراقبه حتى الصباح. لدينا القليل من الكلام لنقوله ، كنا منشغلين جدا كالحُراس للأنفاس. في ذلك السكون ، ثمة ضوء للفجر البارد ، قمت ،بغلي ابريق الشاي لأدرأ ارتعاشات الجوع والتعب.

استيقظ جورج مع طلوع الشمس ، نَفَسهُ بدا هادئا ومستقراً. عنما تسرب دفء النهار الى المركز الطبي ، نهضَ وخلع القناع البلاستيكي عن وجهه وذهب للفطور ، وليلي تمشي خلفه.

بعد الغداء ، تسألني دورين:

-"هل تودين الذهاب الى مهرجان النساء المسائي ؟"

أتساءلُ وأنا أصّفُ الضمادات على الرف:

-" وما هو ذلك المهرجان ؟".

هزت وركها وقالت:

-" أنت تعرفين رقص النساء ، الرقص والغناء".

ضحكنا معا وقلت:

-"أحبُ ذلك".

حددنا موعداً ، قالت وهي تؤرجح يديها للأمام والخلف:

-"مساءاً ، مساءاً ، اخر المساء عندما تغرب الشمس".

قضينا بقية اليوم نفحص الذين كانوا مرضى في الليل. كانت هنالك زيارة لطفلة عمرها أسبوع عادت البارحة مع أمها على متن طائرة البريد الجوي. أنهما تعيشان مع ثلاثين فرداً ، لا ماء يتدفق ولا نظام صرف صحي. كنت في جدل مع سكرتيرة الدائرة التي ظنت بأنني لن أعطي ولدها البنسلين ذلك لأنه أبيض. كنت أحاول أن أوضح لها ان البنسلين لا يعود بفائدة عليه. في الساعة الخامسة والنصف بدأ رأسي يدور ، وصدري يؤلمني بقوة ، الحليب تسرب الى قميصي.

ناديت:

-"دورين ، دعينا نذهب للبيت".

جاءتني الاجابة من غرفة المخزن:

-"نعم".

وعندما كنا نغلق المركز الطبي ، قلت:

-"يا دورين ، أنا آسفة حقاً بشأن عمل كل ذلك التنظيف عند بداية قدومي الى هنا بدون التحدث اليك عن ذلك. أنه شأن الممرضة ، عندما لا نعلم شيئاً آخر لنفعله نقوم بالتنظيف. لقد تعلمنا ذلك منذ بداية تدريبنا ، "أبقوا منهمكين وحافظوا على المكان نظيفاً!".

ضحكت دورين وقالت:

-"أمور ضئيلة الأهمية ، أنتن ممرضات ، أنتن تردن تعلم كيفية الجلوس والانصات الى الناس وليس النشاط طيلة الوقت! "

وعند مغادرتنا للمركز الطبي ضحكتُ قائلة:

-"أراك لاحقاً".

وأثناء توجهي نحو البيت كنت في حيرة من أمري: هل أسير بسرعة لأرى عائلتي وأسكن الألم في صدري أم أسير ببطء وأستمتع بالهدوء وأشاهد التلال عبر الوادي وهي تتألق بلون برتقالي في آخر المساء.

فيما بعد، توجهت مع أمي والصغار للطعام والماء، فألفينا دورين مع شقيقتها ليديا وابنتها الكبرى ربيكا عند جدول الماء قرب التلال. عند مهد الجدول جلسنا على الرمل ونحن نشعر بدفء النهار، ونرقب ليديا وهي ترسم منحنيات منحرفة بيضاء طويلة على صدر دورين.

حفلة النساء الراقصة بمثابة مدخل، ربما هي نقطة أبدأ عندها بفهم النزر القليل عن الأنانكو*. أشعر بالفخر لتوجيه الدعوة لي، لكني ما زلت لا اعرف أي شيء عنها ماهي. تغني النسوة وترقص في خطوط للأمام والخلف وبالعكس، يتصاعد الغبار الأحمر اللطيف من الرمل حول أقدامهن فتبدو حمراء.

إنها لحظة بعيدة جداً عن المركز الطبي، عن معرفة كيفية قراءة وكتابة الإنجليزية، وعن أشكال الغناء. بعيدة عن إعطاء الأدوية. بعيدة جدا عن تضميد الناس يوما بعد يوم. لكن وبطريقة غريبة هي مرتبطة بكل ذلك. هذه هي معرفة القراءة والكتابة، لقد أرتني دورين معرفة مختلفة. معرفة لا أستطيع فهمها. تصافحنا وشكرنا بعضنا ونحن نحزم أمتعتنا ونضعها في السيارة لنعود للبيت.

في المساء البارد، سرت أنا والأطفال حاملة طفلي الذي يبلغ عمره ثلاث سنوات بيدي وهو يتلوى على وركي. سرنا باتجاه التلال المعتمة التي تكتسي

باللون الأرجواني الآن وتغطيها غيمة سوداء ثقيلة. الهواء يبدو أثقل مع موعد بمطر أكثر.

*كولياباه: أشجار صمغية صلبة الخشب تنتشر في أستراليا الوسطى.

البرسبكس: ماركة للبلاستيك الشفاف القوي الذي يستخدم أحيانا بدلا من الزجاج.

كولوربوند: فولاذ مطلي بشكل أولي مطابق للمعايير الأسترالية ، مغطى بطبقة من الزنك والألمنيوم مقاومة للصدأ ويطلى بلون معين ، يستخدم في صنع سقوف وأسيجة البيوت.

الأنانكو: قبائل الأبورجينال تسكن استراليا الوسطى ، على وجه التحديد الصحراء الغربية.

*لني شلتون: كاتبة و شاعرة استرالية ترعرعت في راوباول وملبون. تعيش وتعمل في استراليا الوسطى وذلك لمدة اثنان وعشرون عاما. كانت تعمل كممرضة في المناطق النائية ومعلمة في قطاع الصحة. وكذلك تعلم الكتابة الإبداعية لنزلاء السجن في المركز الاصلاحي في اليس سبرنكز. نشرت كتاباتها في صحف محلية وأدبيات مختارة منها Living Room، Ptilotus. نالت جائزتين في منافسات الكتابة في اليس سبرنكز وذلك لقصيدتها "يوتوبيا" عام ٢٠٠٥ وقصتها القصيرة "سيستا" عام ٢٠٠٤. وقد نشرت هذه القصة في انطولوجيا « The Milk in the Sky» عام ٢٠٠٦

المحتويات

المقدمة
أوزة الثلج
ماتريوشكا
ليلة بيضاء
آل ستوليبريدجز
هذا المكان
رفرف مثل فراشة
الزائر
مطر
الورشة
ملح
البيت المحترق
في الوقت المناسب
تحت الشجرة الدامية
عندما يأتي المد
قرب بحر الارال
سيستا